17 em Année No. 811

Lundi — 17 — 1 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨١١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٦٨ — ١٧ يناير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

حج غير مـــبرور

رد جلسائى التحية إلى رجل ألقاها عليهم وهو يدخل القهوة فى زى أنيق ورؤاء حسن ؛ ثم أتبعوه النظر حتى جلس فى جماعة من ذوى الهيئات قابلوه بنشاط وصافحوه بقوة ؛ ثم عادوا بأبصارهم وأفكارهم إلى تشقيق الحديث ، فقال أحدهم لجاره : أشهدت الحفلة التى أقامها بعد عودته من الحج فى الأسبوع الماضى لمستقبليه ومهنئيه ؟ فأجابه جاره : أوه ! نعم شهدتها . ولقد بلغتْ هذا العام من ضخامة المادة وفخامة المظهر مبلغاً صغّر سوابقها فى أعين الناس على كثرة ما كان يجمع لها وينفق فيها !

فقال جارى : إن العجيب من أمر هذا الرجل أنه يحرص كل الحرص على أداء الحج فى كل سنة ، وهو لا يقيم الصلاة ، ولا يؤتى الزكاة ، ولا يصوم رمضان ، ولا يكاد يتشهد ! فكيف يقوم دينه على ركن واحد والإسلام كما نعلم إنما يقوم على أركانه الخمسة ، وكلما تهدم منها ركن تقوض من بُنيته بناء ؟ فرد عليه شيخ مستنير الفكر بأنه اغتر على مايظهر بقول المزندين من جهلة الشيوخ : إن الحج وحده يمحص الذنوب ويمحو الخطايا حتى ليذهب الرجل إلى مكة وهو موقر النفس بالجرائر ، مثقل الضمير بالكبائر ، فيعود منها وهو نقى الصحيفة كيوم ولدته أمه ! وإن كثيراً من مطففى الكيل وقطاع الطرق وروّاد الفحش يبسطون لأنفسهم العنان فى المنكر اتكالا على حجة يغتسلون بها فيعودون بزعمهم أبراراً كالأطفال وأطهاراً كالملائكة ! ولكن الأعجب فى أمر هذا الحاج أنه تاجر وليس له متجر نراه ، وغنى وليس له مورد نعرفه . يقضى عامه من الحجة إلى الحجة وهو فارغ البال من هموم العيش ، مستريح البدن من مؤونة العمل ، يتنقل بالنهار فى المدن وبين الناس ، ويتقلب بالليل فى المواخير وبين الندامى ، حتى إذا اقترب ميقات الحج ، وهفت النفوس المؤمنة إلى مشرق الدين ومهبط الوحى ، فطم نفسه عن رضاع الكأس ، وأصم أذنه عن نداء المنكر ، وأخذ يعدّ الجواز والجهاز لأداء هذه الفريضة . وقد لاحظ مخالطوه أن موسم الفيضان فى رزقه يبدأ بعد رجوعه من الحجاز ، فيبسط أنامله العشر بأوراق النقد ، يولم بها الولائم ، ويقدم منها الهدايا ، ويدرك عليها اللذائذ ؛ والمعروف أن الزكاة هى التى تبارك المال وتنميه لا الحج ، وأن العمل هو الذى يجلب الرزق ويبقيه لا التبطل ؛ ولكن هذا الرجل لغز لا يحل ، وسر لا يدرك ! فابتسم أحد الحضور وقال : وما ذا عندك لى إذا كشفت المخبوء وشرحت الغامض ؟ فقال له الشيخ : ثمن القهوة وأزيدك طلباً آخر . فقال الرجل : إن حال الحاج ابراهيم كحال كثير من خاصة الُحجاج ، يذهبون إلى مكة محرِمين ، ويعودون منها مجرمين ! ألم تلاحظ وأنت من جيرة هذا الحاج أنه يجلب من الحجاز مقادير كبيرة من التمر والحلوى على خلاف ما جرت به العادة ؟ قال الشيخ : بلى ، وما السر فى ذلك ؟ قال : السر أنك إذا شققت تمرة من يابس التمر ، أو فتحت علبة من علب الحلوى ، وجدت فيها الكنز الذى ينفق منه طول العام . وهذا

الميثاق العالمي
لحماية حقوق الانسان
للأستاذ عمر حليق

تعتقد لايك سكسس ومعها بعض ألسنة الرأى العام الدولى أن أبرز عمل قامت به الجمعية العمومية لهيئة الأمم فى اجتماع باريس هو موافقتها على الميثاق العالمي لحماية حقوق الإنسان .

ولو أننا تناسينا مؤقتاً فقدان السلطة العملية التى ما فتئت هيئة الأمم المتحدة تسعى لتحقيقها ، واتخذنا الناحية النظرية مقياساً لهذا الميثاق — لتبين لنا خطورة هذه الخطوة التاريخية التى سجلت فيها الأمم المتحدة — نظرياً على الأقل — حمايتها للفرد أيان كان وضد أى كان - ضد الدولة الغاشمة ، وضد الأنظمة الظالمة ، وضد النظرة القومية الضيقة التى تحاول أن تنال من حقوق الفرد باسم الصالح القوى فإذا هى تعصف بأهم دعائم القومية الحقة وهى حرية الفرد وحقوقه .

ولا غرابة إذن أن ينفرد بالتصويت ضد هذا الميثاق ممثلو دول أوربا الشرقية الذين يفرضون أنفسهم على الشعب بقوة الحديد والنار ؛ ودولة اتحاد جنوب أفريقيا حيث تحول القومية العنصرية الضيقة دون المساواة فى الحقوق بين السكان الأوربيين وهم قلة ، والسكان الوطنيين الأفريقيين وهم كثرة . وقد صوتت كذلك ضد الميثاق المملكة السعودية لعدة أسباب كلها مستمدة من طبيعة النظام المحافظ الذى يعيش عليه المجتمع السعودى .

وقد احتاط واضعو الميثاق خلال نقاش دام عامين ونصف العام لتدعيم الميثاق بدعائم عملية فأوصوا بإنشاء محكمة دولية للنظر فى شكاوى الأفراد ضد الذين يعتدون على حقوقهم سواء كان المعتدون الدول التى يعيشون فى ظلها أم دول أجنبية كما هو الحال فى المستعمرات والمحميات . وفى الميثاق — ميثاق حقوق الإنسان — نص صريح يعطى الأفراد فى المستعمرات والمحميات والمنتدبات فى سائر أنحاء المعمورة دون تفرقة فى اللون أو العنصر أو المذهب ، الحق فى رفع مظالمهم إلى المحكمة الدولية إذا وجدوا أن الدول الحاكمة جائرة على حقوقهم الشخصية منتهكة لأسسها ظاهراً أو باطناً . والواقع أن الميثاق الجديد يكرر كثيراً الحقوق التى نصت عليها الدساتير الحرة القديمة والمعاصرة ، ولكن فى هذا الميثاق العالمي ناحية مستحدثة مستمدة من التطور الذى ألم بالتفكير المعاصر ، هذه الناحية هى حماية حقوق الفرد الاقتصادية بالإضافة إلى حماية حقوقه السياسية .

هذه الحقوق الاقتصادية تقر بأن الإنسان خلق حراً له من الحقوق ما لجميع إخوانه فى الإنسانية لا يحول بينه وبين هذه المساواة لون أو عنصر أو معتقد أو مذهب أو عقيدة فكرية ، وأن له مساواة مطلقة فى الإمكانيات الاقتصادية يرعاها له القانون ويثبتها له بمجرد كونه إنساناً يعيش . والميثاق الجديد لا يحاول أن يتخذ من الفرد مادة ليصنع منها دولة قوية أو حكومة مطلقة السيادة حرة التصرف فى شؤونه سواء كان هذا التصرف متمشياً مع حرية الفرد غير ماس بحقوقه أم كان مخالفاً لها كما هو الحال فى الدول الديكتاتورية .

الميثاق الجديد إذن لا يتخذ الإنسان مادة تُبنى بها الدولة ، بل يعترف للفرد بحرية الرأى والتفكير والتعبير تحت أى نظام وفى وجه أية سلطة . والميثاق يتخطى حدود الدولة إلى مرجع دولى أعلى ، أحكامه وقراراته تقيد الأمم المتحدة بالتزامات قانونية وأدبية وترغمها على رفع الضيم وإزالة المظلمة . وتدرس لايك سكسس الآن الخطوات العملية لإنشاء هذه المحكمة العليا بعد أن تقر برلمانات الدول المشتركة فى هيئة الأمم ميثاق حقوق الإنسان هذا ليصبح فرعاً من القانون الدولى له سلطة راسخة فى أسس النظام العالمى . قلت إن الأمم المتحدة فى الجمعية العمومية بباريس وافقت على هذا الميثاق باستثناء روسيا وحلفائها من دول أوربا الشرقية ، وباستثناء اتحاد جنوب أفريقيا والمملكة السعودية العربية التى قال مندوبها السيد جميل البارودى إن التقاليد ونظام الحكم القائم فى نجد والحجاز يخالف بعض المواد التى نص عليها ميثاق حقوق الإنسان هذا فيما يتعلق بسلطة الحكومة وبعض السلطات

الكنز؟ قبل أن تسألني عنه نوع من الحشيش المزمزم المبارك مما يجلبه أتقياء الحجاج من منابت آسية المجيبة ، إلى أرض الحجاز المقدسة الحبيبة ! فصحنا جميعاً دهشين : والجرك ؟ فمرّض الرجل ابتسامته وقال : صلوا على النبى بالجماعة ! والله لو كان على حدودنا تفتيش ، لما دخل مصر أفيون ولا حشيش ! أحمد حسن الزيات

الذهبية والأنظمة الاجتماعية .

أما معارضة السوفيات وحلفائهم فكانت تستند إلى نقطتين في الفلسفة الماركسية .

فالميثاق العالمي الجديد يعترف للفرد بالحرية الاقتصادية بمعنى أن لكل إنسان الحق في امتلاك أسباب الرزق ووسائله والسعي لتنميتها بشتى الطرق المشروعة دون أن يتقيد بالتزامات الاقتصاد الموجه الذي تدعو وتعمل له الشيوعية عملا بالمبدأ الماركسي القائل « من كلٍّ حسب طاقته ، إلى كل حسب حاجته » . ولذلك فإن روسيا السوفياتية وحلفاءها الشيوعيين وجدوا في هذه الحرية الاقتصادية التي نص عليها الميثاق مخالفة للمبدأ الشيوعي فرفضوا الأخذ بها .

ونقطة المعارضة السوفياتية الثانية هي نص الميثاق على أن للفرد الحق في رفع مظالمه ضد الدولة حين تعتدي على حقوقه وتنتهكها إلى محكمة عالية ستنشأ لهذه الغاية كما أسلفت . وقد احتج الروس بأن في هذا التخطي — تخطي الفرد سلطة الدولة إلى سلطة عالية — تعديا على سيادة الدولة ، وهذا ما لا يرضى به الروس والغريب في منطق السوفيات هذا أنه يخالف الهدف الرئيسي للعقيدة الماركسية الذي يسعى لإزالة الدولة كنظام اجتماعي بعد أن تتحقق سلطة الطبقات العاملة (البروليتارية Prolitariat)

وقد رد مندوب الفليبين الجنرال رومولو على هذه المعارضة الروسية قائلا أن الميثاق ينص في مقدمته على أنه ميزان العدالة لجميع الشعوب في جميع الأمصار ، فإذا أخطرت دولة في مؤتنف الزمن أنها تتنازل عن بعض أوجه سيادتها لتحقق نظاما عالميا جديدا يدين بمبادئ إنسانية راسخة لصالح الإنسانية جمعاء ، فلا بأس من هذا التنازل . وإلا فلماذا تحاول الأمم أن تحل مشاكلها ومشاكل السلم والحرب والرخاء عن طريق التعاون والتكافل الدولي ؟

هذا الميثاق الجديد الذي نحن بصدده هو وليد مناقشات — بعضها بلغ منتهى الحدة — استمرت عامين ونصف العام لعب فيها الدكتور شارل مالك مندوب لبنان في هيئة الأمم ورئيس المجلس الاقتصادي والاجتماعي دورا رئيسيا اعترف به وقدره مندوبو الأمم المتحدة في عبارات التقريظ التي أعقبت مرور الميثاق في الجمعية العمومية في جلساتها الختامية بقصر شايو بباريس . فقد كان الدكتور مالك مقررا للجنة التي وضعت الميثاق ، وقد صاغ كثيرا من مواده في بلاغة وحكمة استدعت الفخر والإعجاب . لأن الدور الذي قام به المندوب العربي دل على الكفاية الكامنة في الشعوب الصغيرة إذا أعطيت الفرصة وتوفرت لها الرعاية قامت بخدمات فريدة .

وبعد . فإن ميثاق حقوق الانسان لا يزال حبرا على ورق . ترى هل يقدر له أن يلعب الدور الذي لعبه في تطور الحرية الفردية « الماجنا كارتا » وتعاليم الثورة الفرنسية ؟

الجواب في مدى التعاون الذي سيسود العلاقات الدولية في السنين القادمة ، ومدى رسوخ الاستقرار في عالم مضطرب .

(نيويورك) **عمر حليق**

الفيلسوف القتيل :

شهاب الدين السهروردى

للأستــــــاذ أحمد أحمد بدوى

شخصية أضفى عليها مصيرها المحزن كثيراً من الخيالات . فمن معجب يدافع عنها ويضيف إلى محاسنها ، ومن ناقم يحقرها ويزيد فى مثالبها . وقد اختلف مؤرخوه حتى فى اسمه ؛ فقال بعضهم : هو أحمد ، وقيل كنيته اسمه ، وهى أبو الفتوح ، وذكر ابن أبى أصيبعة أن اسمه عمر ، وارتضى ابن خلكان أن اسمه يحيى ابن حبش الملقب بالمؤيد بالملكوت .

ولد فى سهرورد ، وهى بليدة فى العراق العجمى ، حول سنة ٥٤٩ ، ودرس الفلسفة وأصول الفقه على الشيخ مجد الدين الجيلى بمدينة المراغة ، من أعمال أذربيجان ، حتى برع فيهما . ومجد الدين الجيلى هذا هو شيخ فخر الدين الرازى ، عليه تخرج وبصحبته انتفع ، وكان بارعاً فى فنونه . وقد دارت بين تلميذيه : الفخر والشهاب مباحثات كثيرة . ودرس السهروردى إلى جانب الفلسفة علم الكلام والمنطق . ويقال إنه كان يعانى السيمياء وأبواب النيرنجيات ، وهى أشياء تشبه السحر لا حقيقة لها ، وأوردوا له فى ذلك قصصاً .

والظاهر أنه كان على درجة عالية من الذكاء وفصاحة العبارة والقدرة الجدلية ؛ كان الشيخ فخر الدين الماردينى يقول عنه : ما أذكى هذا الشاب وأفصحه ! لم أجد أحداً مثله فى زمانى إلا أنى أخشى عليه لكثرة تهوره واستهتاره وقلة تحفظه أن يكون ذلك تلفه . ويبدو أن نظرة الماردينى إليه كانت صادقة ؛ فإن اندفاعه فى إعلان آرائه كان سبب رداه ، فقد مضى إلى حلب ؟ وأعلن آراءه بها ، وكان ذلك سنة ٥٧٥ ، واستمال خلقاً كثيراً تبعوه . ولست أدرى إن كان اتباعهم إياه اتباعاً لآرائه الفلسفية ، أو اتباعا لسيميائه ونيرنجياته إذا صح علمه بهما . واتصل بالظاهر غازى بن صلاح الدين . وهنا يختلف المؤرخون ؛ فمن قائل : إنه عند ما اتصل بالظاهر أعجبه كلامه ، ومال إليه ، وأحضر أكابر المدرسين والفقهاء والمتكلمين ، ليسمع ما يجرى بينهم وبينه من المباحث ، فناظر العلماء ، فظهر عليهم بعبارته ، فحسن موقعه عند الظاهر وقربه ، فازداد تشنيع العلماء عليه ، وكتبوا محاضر بكفره ، وأرسلوها إلى دمشق إلى صلاح الدين ، وقالوا : إن بقى هذا فإنه يفسد اعتقاد الملك الظاهر ، وكذلك إن أطلق ، فإنه يفسد أى ناحية كان بها من البلاد ، وزادوا عليه أشياء كثيرة من ذلك . فبعث صلاح الدين إلى ولده كتاباً بخط القاضى الفاضل يقول فيه إن هذا الشهاب السهروردى لا بد من قتله ، ولا سبيل إلى أن يطلق أو يبقى بوجه من الوجوه . ومن قائل : إنه عند ما حضر إلى حلب أفتى علماؤها بإباحة قتله ، بسبب اعتقاده ، وما ظهر لهم من سوء مذهبه ، وكان أشد الجماعة عليه الشيخان : زين الدين ومجد الدين ابنا جهبل ، فحبسه الظاهر ثم قتله بإشارة والده .

ويختلفون فى طريقة قتله ، فقال بعضهم : قتل خنقاً ، وقال آخرون : إنه اختار أن يترك فى مكان منفرد ، ويمنع من الطعام والشراب ، حتى يلقى الله تعالى ، ففعل به ذلك . وقال بعضهم : إنه قتل وصلب أياماً . والذى أرجحه من ذلك رواية ابن شداد من أن الظاهر قبض عليه لما بلغه من خبره ، ثم عرّف السلطان به ، فأمر بقتله فقتله ، وكان ذلك سنة ٥٨٧ وسنّه نحو ستة وثلاثين عاماً .

لم أقرأ كتب الشهاب كلها حتى أستطيع تحديد آرائه المخالفة لآراء الجمهور . ويبدو أن اندفاعه فى إبداء أفكاره من غير تقييد لها كان سبب هذا القتل ؛ فقد قال له العلماء : إنك قلت فى بعض تصانيفك : إن الله قادر على أن يرسل نبياً ، وهذا مستحيل . فقال : ما وجه استحالته ؟ فإن الله القادر لا يمتنع عليه شىء . فلم يفرق سائليه بين الممكن فى حد ذاته ، والممكن الذى أخبر القرآن بأنه لن يقع .

واتهموه بانحلال العقيدة والتعطيل ، واعتقاد مذهب الحكماء المتقدمين . ولكن ما أثر عنه ينفى ذلك ، فقد رووا من دعائه قوله : اللهم يا قيام الوجود ، وفائض الجود ، ومنزل البركات ، ومنتهى الرغبات ، منور النور ، ومدبر الأمور ، وواهب حياة العالمين ، امددنا بنورك ، ووفقنا لمرضاتك ، وألهمنا رشدك ، وطهرنا من رجس الظلمات ، وخلصنا من غسق الطبيعة إلى

مشاهدة أنوارك ، ومعاينة أضوائك ومجاورة مقربيك ، وموافقة سكان ملكوتك ، واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من الملائكة والصديقين ، والأنبياء والمرسلين » . وأثر عنه مناجاة جاء فيها : « إلهي وإله جميع الموجودات : من المعقولات والمحسوسات ، ياواهب النفوس والعقول ، ومخترع ماهيات الأركان والأصول ، يا واجب الوجود ، ويا فائض الجود ، يا جاعل القلوب والأرواح ، ويا فاعل الصور والأشباح ، يا نور الأنوار ، ومدبر كل دوار ، أنت الأول الذي لا أول قبلك ، وأنت الآخر الذي لا آخر بعدك . الملائكة عاجزون عن إدراك جلالك ، والناس قاصرون عن معرفة كمال ذاتك . اللهم خلصنا عن العلائق الدنية الجسمانية ، ونجنا من العوائق الردية الظلمانية . أرسل على أرواحنا شوارق أنوارك ، وأفض على نفوسنا بوارق آثارك . العقل قطرة من قطرات بحار ملكوتك ، والنفس شعلة من شعلات نار جبروتك . ذاتك ذات فياضة ، تفيض منها جواهر روحانية ، لا متمكنة ولا متحيزة ولا متصلة ، ولا منفصلة ، مبرأة عن الأحياز والأين ، معراة عن الوصل والبين ، فسبحان الذي لا تدركه الأبصار ، ولا تمثله الأفكار . لك الحمد والثناء ، ومنك المنع والعطاء ، وبك الجود والبقاء ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون »

والظاهر أن نسبته إلى التعطيل جاءت من انه كان يرى رأى المعتزلة الذين لا يرون الصفات شيئاً خارجا عن الذات ، وهو يقول عن ذلك في كتابه : هياكل النور : « والصفة لا تجب بذاتها وإلا ما احتاجت إلى محلها ، فواجب الوجود ليس محلا للصفات ولا يجوز أن يوجد هو في ذاته صفات . فإن الشيء الواحد لا يتأثر عن ذاته . ونحن إذا تصرفنا في عقولنا يكون الفاعل شيئاً والقابل شيئاً آخر . فواجب الوجود واحد من جميع الوجوه ؛ ولكن ليس معنى هذا نفى الصفات عن واجب الوجود . وقد أثبت لله هذه الصفات ؛ إذ قال في هياكل النور . « وله من كل متقابلين أشرفهما ، وكيف يعطى الكمال من هو قاصر ؛ وكل ما يوجب تكثيراً من تجسيم أو تركيب ممتنع عليه تعالى ؛ والحق لا ضد ولا ند له ، ولا ينتسب إلى ابن ، وله الجلال الأعلى ، والكمال الأتم ، والشرف الأعظم ، والنور الأشد . ليس بعرض فيحتاج إلى حامل يقوم به وجوده ، ولا بجوهر فيشارك الجواهر في حقيقة الجوهرية ، ويفتقر إلى مخصص دلت عليه الأجسام باختلاف هيئاتها . فلولا مخصصها لما اختلفت أشكالها ومقاديرها وصورها وأعراضها وحركاتها . وما أوردناه من مناجاته ودعائه ، وما قدم به كتابه هياكل النور يدل على أنه يثبت لله صفات الكمال الأسمى ...

والشهاب يسير في إثبات وجود واجب الوجود ، وما هو عليه من كمال على طريق الفلاسفة الذين يعتمدون على الدليل العقلي ؛ كما ترى ذلك في كتابه المشارع والمطارحات (ص ١٢٧) . وكتابه هياكل النور .

لست أدرى كيف نسبوه إلى الإلحاد وما أوردناه من كلامه لا يدل على إلحاد ولا زندقة ؟ وكيف نحكم بالإلحاد على رجل يقول : « فوحد الله ، وأنت بتعظيمه ملآن ، واذكره وأنت من ملابس الأكوان عريان ، ولو كان في الوجود شمسان ، لانطمست الأركان » ؛ ويثبت وحدانية واجب الوجود بقوله في هياكل النور (ص ٥) : « لا يصح أن يكون شيئان هما واجبا الوجود لأنهما لو اشتركا في وجوب الوجود فلابد من فارق بينهما ، فيتوقف وجود أحدهما أو كليهما على الفارق ، ولا يمكن أن يكون شيئان لا فارق بينهما فإنهما يكونان واحداً » ويقول (ص١٢) : « ويجب على المستبصر أن يعتقد صحة النبوات » ؛ ويرى أرواحنا نوراً حادثاً خلقه الله إذ يقول (ص ٦ من هياكل النور) : « ونفوسنا الناطقة أنوار حادثة ولها مرجح ولا توجدها الأجسام ، إذ لا يوجد الشيء ما هو أشرف منه ، فرجحه أيضاً نور مجرد ، فإن كان واجب الوجود فهو المراد ، وإن أمكن فينتهي إلى واجب الوجود الحي القيوم . وكان يدعو واجب الوجود نور الأنوار ، ولست أرى في ذلك أكثر مما أجده في قوله تعالى : « الله نور السموات والأرض » .

أما مذهبه في التصوف فمذهب الإشراقيين الذين يرون المعرفة إنما تنال بإشراق منه تعالى على قلوب مريديه ، وله في ذلك كتاب حكمة الإشراق ، ويحدثنا عن ذلك بقوله في الهيكل الثامن : « النفوس الناطقة من جوهر الملكوت ، وإنما يشغلها عن عالمها هذه القوى البدنية ومشاغلها ، فإذا قويت النفس بالفضائل الروحانية ، وضعف سلطان القوى بتقليل الطعام والشراب ،

وتكثير السهر ، تخلص النفس أحياناً إلى عالم القدس ، وتتلقى منه المعارف والمغيبات ، فى نومها ويقظتها ، كمرآة تنتقش بمقابلة ذى نقش ... فيشاهد [المريد] صوراً عجيبة تناجيه ، أو يسمع كلمات منظومة ، أو يتجلى الأمر الغيبى » ؛ ومن أجل ذلك يرى أجسادنا المظلمة لا تستطيع أن تلج ملكوت السموات الذى تصل إليه الروح التى هى نور من أنواره تعالى ، منه مشرقها وإليه مغربها ، وهى لذلك تحن إلى مصدرها . وله فى ذلك شعر قاله على مثال أبيات ابن سينا العينية بدأه بقوله :

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى   وصبت لمغناها القديم تشوقا

وله أيضاً شعر على مذهب المتصوفة الذين يشتاقون الوصول إلى الحق ، والاتصال بالنور الأسمى ، كقوله :

أبداً تحن إليكم الأرواح   ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم   وإلى لذيذ لقائكم ترتاح
وارحمتا للعاشقين تكلفوا   ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم   وكذا دماء العاشقين تباح
وإذا هم كتموا تحدث عنهم   عند الوشاة المدمع السفاح

وكان الشهاب يؤمن بكرامات الأولياء التى قد يكون منها أن تخضع العناصر لإرادة الصوفى ، وقد قال عن ذلك فى كتاب الهياكل (ص ١٢) . « وقد تطرب النفوس المتألهة طرباً قدسياً ، فيشرق عليها نور الحق الأول تعالى ، فتخضع لها العنصريات ، ولما رأيت الحديدة الحامية تتشبه بالنار بمجاورتها ، وتفعل فعلها ، فلا تتعجب إن أشرقت النفس ، واستضاءت بنور الله تعالى ، فأطاعتها الأكوان إطاعتها للقديسين » .

فالشهاب — كما يبدو لى — رجل صوفى ، جمع إلى ثقافته الدينية ، وعقيدته الإسلامية ، ثقافته بفلسفة الإغريق وحكمتهم ، من غير أن يخرجه ذلك عن حدود الإسلام ، ومن أجل هذا أرى صلاح الدين قد تسرع بإصدار الحكم عليه بالقتل ، وأن العلماء الذين أفتوا بذلك ، فتبعهم صلاح الدين — كانوا مخطئين ؛ فليس ما خالف مذهب أهل السنة يعد كفراً وزندقة . ويقال : إن الملك الظاهر ندم على قتله ، وانتقم من الذين أفتوا بإباحة دمه ، وقبض على جماعة منهم ، واعتقلهم .

هذا ، ولابد أن قد كان لهذا القتل أثره فى إخفات صوت الفلسفة ، وخنق كل صوت لا يدين بمذهب أهل السنة .

وقد اختلف معاصروه فى تقديره وفى حياته وبعد مماته ؛ فهذا عبد اللطيف البغدادى يقول عند ما دخل الموصل : وسمعت الناس يهرجون فى حديث الشهاب السهروردى المتفلسف ، ويعتقدون أنه قد فاق الأولين والآخرين ، وأن تصانيفه فوق تصانيف القدماء ، فهممت لقصده ، ثم أدركنى التوفيق ، فطلبت من ابن يونس شيئاً من تصانيفه ، وكان أيضاً معتقداً فيها ، فوقفت على التلويحات واللمحة والمعارج ، فصادفت فيها ما يدل على جهل الزمان ، ووجدت لى تعاليق كثيرة لا أرتضيها ، هى خير من كلام هذا الأنوك .

أما سيف الدين الآمدى فيراه كثير العلم قليل العقل ، ويروى أن الشهاب قال له : لا بد أن أملك الأرض ، فقال الآمدى : من أين لك هذا ؟ قال : رأيت فى النام كأنى شربت ماء البحر . فقال الآمدى لعل هذا يكون اشتهاء العلم أو ما يناسب هذا . ولكن الآمدى لم يرجع عما وقع فى نفسه . وربما كان ذلك منسوبا إلى الآمدى كذباً ، لأنا نستبعد ذلك على رجل مثل السهروردى أو كان ذلك صادراً عن رأيه فى كرامات الأولياء ، وقد سبق لنا عرضه .

أما بعد موته، فقد كتب كاتب على قبره بعد دفنه بظاهر حلب :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة   مكنونة ، قد براها الله من شرف
فلم تكن تعرف الأيام قيمتها   فردها غيرةً منه إلى الصدف

قال ابن خلكان : وأقمت بحلب سنين ، للاشتغال بالعلم الشريف ، ورأيت أهلها مختلفين فى أمره ، وكل واحد يتكلم على قدر هواه ، فمنهم من ينسبه إلى الزندقة والإلحاد ، ومنهم من يعتقد فيه الصلاح ، وأنه من أهل الكرامات ؛ وأكثر الناس على أنه كان ملحداً لا يعتقد شيئاً .

وللشهاب من المؤلفات كتاب التنقيحات فى أصول الفقه ، وكتاب الألواح العمادية ، وهو مجالة فى المبدأ والمعاد على رأى الإلهيين ، وكتاب التلويحات فى ثلاثة علوم : المنطق ، والطبيعى ، والإلهى ، وكتاب المقاومات ، وهو لواحق على كتاب التلويحات ، وكتاب هياكل النور ، وقد شرحه جلال الدين محمد بن أسعد

الدوانى ، وكتاب علم الهدى وأسرار الاهتدا ، وكتاب اللمحات وكتاب المعارج ، وكتاب حكمة الإشراق ، وهو متن مشهور ، شرحه الأكابر – كما قال فى كشف الظنون – ومنهم قطب الدين الشيرازى ، وكتاب المشارع والمطارحات . وهى كتب فى المنطق والفلسفة والتصوف وله رسالة الغربة الغريبة على مثال رسالة الطير لابن سينا ، ورسالة حى بن يقظان له كذلك ، وقد أشار فيها إلى حديث النفس على اصطلاح الحكماء .

ونختم هذه الترجمة بذكر ما وصفه به بعضهم من أنه كان زرى الخلقة ، دنس الثياب ، وسخ البدن ، لا يغسل له ثوبا ولا جسما ولا يداً ، ولا يقص ظفراً ولا شعرا ، وكان القمل يتناثر على وجهه ، ويسعى على ثيابه ، وكل من يراه يهرب منه . وعندى أن ذلك من وضع شانئيه ، ولو كان كما وصفوا ما خشى صلاح الدين منه فتنة أن يتبعه أحد .

وبعد فأرجو أن أوفق إلى دراسة كتب هذا الرجل ، فعساى أدرك سر قتله ، لأنى أرجح – إلى اليوم – أنه قتل مظلوما .

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

خواطر سياسـية وأدبية

للدكتور السيد محمد يوسف الهندي

إن للأقوام أمزجة وطباعاً كما أن للأفراد ميزات وخصائص . وقد عرفت حينما كنت بالهند أن مما يمتاز به الشعب المصرى شدة التأثر بالحاضر ، وانشغال القلب بالحال إلى حد تكييف الماضى به وعدم المبالاة بالمستقبل فى بعض الأحيان ، وربما اتخذت هذه الميزة مظهرين لها أعنى قوة الانفجار والوثوب لمكافحة الشر المستفحل الماثل أمام العين ، والركون إلى كل قليل أو كثير يبشر بالخير ولو إلى وقت ما .

كنت أعرف هذا على طريق الإجمال قبل ورودى مصر ، ثم صادف أن ألقيت عصا التسيار بشط وادى النيل وقضيتها معروضة على مجلس الأمن ، فحرصت على أن أتتبع الحوادث والتطورات مع آراء الرجال واتجاهات الأحزاب إزاءها ، كما أقرأها على صفحات الجرائد وأشاهدها بعينى فى الشوارع والأندية .

فبينما أنا معجب كل الإعجاب بروح العداء للاستعمار الأجنبى السياسى (أخص بالذكر « السياسى » لأنى مع الأسف لم ألمس نفس تلك الروح فى ميادين الاقتصاد والتقاليد الاجتماعية ومنهاج الفكر) التى أيقنت أنها عمت الشعب كافة ، إذا بسيل من الكلمات تتدفق على صفحات الجرائد داعية إلى خطة التقرب من الدب نكاية بالأسد على أثر تأييد روسيا لمطلب مصر الخاص بالجلاء (دون اتحاد السودان معها) ، فأسهب المحررون والكتاب فى التنويه بصداقة روسيا وضرورة استيراد القمح منها وإنشاء العلاقات الاقتصادية والتجارية معها هى ومن تسايرها من الأمم مثل بولندا دون الأمم الانجلوسكسونية .

وقفت حائراً أمام هذا الموقف المفاجئ أفكر فى نفسى فى مدى جدوى مثل هذه الحماسة البالغة فى الاعتراف بالجميل وتقديم الشكر عليه فى ميدان السياسة الدولية فى القرن العشرين ، ولكن الأمر كان بالطبع موكولا إلى الأيام أن تثبت هل ستستقر سياسة العرب على هذا التحول الجديد أم لا ؟

* * *

ثم حدث أن رأيت الشبان يثورون على البن ويثأرون من أصله « البرازيلى » ، وما لبثت ثائرتهم أن سكنت بمجرد محو اسم البرازيل من واجهة المحل مع بقاء جميع الأوضاع كما هى حسبما أعلم ، كما أنهم يقتنعون بلصق لافتات « إنقاذ فلسطين » على أبواب المحلات الكبرى بشارع فؤاد وهم يعلمون حق العلم أن أصحابها اليهود هم فى الحقيقة عماد الصهيونية فى الشرقين الأدنى والأوسط ، وأنهم إنما يستغلون الوطنية والجنسية المصرية بدون أن يشاركوا المصريين فى آمالهم أو يواسوهم فى آلامهم .

* * *

هذا ، ومما زادنى دهشة أن اتفق زعماء الأحزاب على ركوب سيارة واحدة تطوف بهم حول القنصليات لتأدية واجب الشكر لبعض الدول والشكاية إلى بعضها الآخر ، وخطب ود (أو بالأحرى صوت) جميعها ، وربما كانوا مصيبين فى خطتهم هذه تظاهراً بإجماع رأيهم واتحاد كلمتهم ، ولا سيما إذا هم عجزوا من الظهور فى مظهر أروع من ذلك ، ولكن آلمنى كثيراً البيان الذى أدلوا به أمام سفير فرنسا . ومن شاء فليراجع « الأهرام »

فقد لهجت ألسنتهم بذكر الآمال الجليلة التى كان العرب عقدوها بفرنسا منذ بداية العصر الحديث ، ومن بينها الأمل الضائع (لا قدر الله له أن يتحقق) فى مزاحمة فرنسا للاستعمار البريطانى فى مصر !

أنا واثق بأن كلا من هؤلاء الزعماء الكرام لا يريد إلا الاستقلال التام لبلاده ، ولكن من الصعب أن يجد أحد أى مبرر ولو فى أشد الأوقات حرجاً لتوجيه مثل هذه الدعوة إلى دولة قد ذاق العرب فى مختلف الجهات ولا يزال إخوانهم فى المغرب يذوقون الأمرين من جراء استعمارها ، وعلى الأقل فهى الغاية لقصر النظر فى الأحوال والظروف الطارئة من يوم إلى يوم

* * *

لم يمض إلا وقت قليل حتى كشرت روسيا عن أنيابها ، فكانت من أشد الأنصار لتقسيم فلسطين ، وبلغ الحال أن بدأ ممثلو العرب وزعماؤهم يستغلون موقف روسيا المدانى لتخويف أمريكا وبريطانيا بعد أن ضيعوا أنفاسهم واتعبوا أقلامهم يستنجدون بصداقتها ضد تينك الدولتين منذ بضعة أشهر فقط .

وأخيراً لم يتمالك عرب فلسطين أن بادروا إلى رفع أعلام أمريكا على بيوتهم والهتاف بحياتها فى الميادين والشوارع حينما خيل إليهم أن أمريكا نفضت يدها من مشروع التقسيم ، وما من شك أن مثل هذه المظاهرة لا يمكن أن تكون طبيعية ، إنما كانت مدبرة من الزعماء الذين تسرعوا فى الاعتزاز بأنفسهم والتبشير لشعبهم والتسليم لأمريكا بما يتاجرون به من صداقة العرب .

لا أدرى ما ذا صنعوا بتلك الأعلام فى اليوم التالى حينما صرح الرئيس ترومان بأن العرب أو زعماءهم جاوزوا الحزم فى حمل موقف أمريكا الجديد على التبرؤ من فكرة التقسيم . لا أدرى ماذا صنعوا بتلك الأعلام ؟ هل نكست ومزقت وحرقت ، أو ادخرت لمناسبات أخرى فى المستقبل ؟ وعلى كل حال فقد تبين أن السياسة القصيرة المدى التى نعيش بها من اليد إلى الفم ربما تؤدى إلى مهازل وفضائح ومآسى ، وإنما مرد ذلك إلى أن الزعامة لا تزال بأيدى رجال لا يتعدى فكرهم نطاق التحين للفرص ، فهم يتهيبون ويماطلون فى كل خطوة إيجابية جريئة ترمى إلى قلب الأوضاع وخلق الظروف الواتية لقضيتهم ، وذلك أول الوهن .

* * *

إنما سردت ما سردت من تأثراتى لأهم ما وقع فى العالم العربى السياسى أثناء البضعة أشهر الماضية لأخلص منها إلى الكلام عن أهم حادث فى العالم الأدبى ، أعنى ظهور « الفتنة الكبرى — عثمان بن عفان » من تصنيف الدكتور طه حسين . وقد اتفق لى أن قرأت انتقاد الأستاذ محمود محمد شاكر لهذا الكتاب قبل أن تتاح لى الفرصة لمطالعة الكتاب نفسه .

نعم ، قرأت انتقاد الأستاذ على صفحات « الرسالة » ، فعجبت لما بذل من جهد فى سبيل إقامة الحجج والبراهين على عداء اليهود للمسلمين والإسلام . وما أغناه عن ذلك فإنها حقيقة أظهر من الشمس لكل ذى عينين نبه عليها القرآن وأكدها النبى وصدقتها التجارب المتكررة . إنما جبن المسلمون فتعمدوا نسيانها والإعراض عن الشهادة بها حينما ذهبت ريحهم فأصيبوا بمركب النقص فى تفكيرهم حتى بدأوا يلتمسون الرقى والتقدم فى محاكاة الأمم الغربية المتحكمة فيهم ، فأقاموا حياتهم السياسية الحديثة على أساس النظريات الأجنبية غير الإسلامية من القومية والوطنية ، وأرادوا أن يستمدوا القوة من الاشتراك فى الماء والهواء وبعض الأغراض المادية التى هى الأصل عند الكفار ، والمشركين الذين لا يعيشون إلا لها . أما المسلم ، فإنما يعيش بها لتحقيق المبادئ السامية والقدور العالية والأخلاق الفاضلة ومقاييس الصواب والخطأ والحلال والحرام التى هى المقومات الجوهرية لكل حلف دائم ليتنبع ولاء صادقاً ، والتأمين على الغش وطغيان طائفة على أخرى ، ولكن أتى على المسلمين زمن سولت لهم أنفسهم فيه أن يخجلوا ويتبرءوا من كل ما ينم عن فكرة دينية ، حتى ولو كان من المبادئ المقررة والحقائق التاريخية الثابتة لكى يتسنى لهم الحصول على لقب « المستنيرين » من عدوهم الذى بهرهم بقوته وشوكته .

قد فعل المسلمون ذلك وظنوا ولا يزال كثير منهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً ، ولذلك استبشرت بخير كثير حينما قرأت مقال الأستاذ محمود محمد شاكر يحدثنا فيه من العلاقات بين المسلمين واليهود عسى أن تسفر محنة فلسطين عن نعمة عظمى ، ألا وهى الانقلاب فى الفكر السياسى عند العرب بحيث يتأكدون أن التسامح لا يقام له أى وزن إلا إذا جاء من قوى يقظ شديد المراس مستكمل العدة ، مستقل بنفسه ، قادر على قلب ظهر المجن

عند ظهور أولى بوادر الشر ، ولن يتأتى للمسلمين مثل هذه القوة إلا إذا كانت حياتهم منسقة على أسس دينية بحتة ، وما من شك فى أن كل من يتأمل هذه الحقيقة لابد أن تختلج بين يديه الحركات والمنظمات السياسية الحالية للعرب بأسرها بما فيها الجامعة العربية

وبمناسبة ذكر الجامعة العربية أقول : أو ليس من العجب أن يتنكب ويتنصل المؤتمر الثقافى العربى من عرض الإسلام كعامل لم يزل ولا يزال ، على الرغم من أهواء المستنيرين والمتقدمين ، يلعب دوراً هاماً فى حياة معظم أفراد الشعب العربى طيلة القرون الثالثة عشرة الماضية ؟

ومما يزيدنى عجباً أن أصحاب المؤتمر اجترأوا على ارتكاب مثل هذا الخطأ الفنى فى حين قد بدأ مفكرو الغرب يعترفون علناً بأثر الدين فى تكوين النفسية وتزكية العقل وتوجيه العواطف التى هى مبدأ جميع الأعمال الإنسانية . أفلا يستحق الدين أن يلقى عناية من الباحثين العرب ولو من الناحية الفنية ؟ ولو فرض جدلا أنه يحق للزعماء أن يتناسوا الدين لأغراض سياسية فى الحال الحاضر فليت شعرى من أين استمدوا سلطتهم على الماضى حتى يقترحوا تنشئة الجيل الجديد على ذكرى أمجاد العرب بدون أن يوفوا الإسلام حقه ؟ ما أجدرهم أن يدركوا أن التعصب للوطن أو الجنس (وقد بكى شعراء العرب قديماً ضياع الأنساب واختلاط الأحساب) ربما يكون أشنع وأضر بالإنسانية من التعصب الدينى ! فهل يحتاج أحد إلى التذكير بأن العرب لم يشيدوا ما شادوا من صروح المجد ، لأنهم كانوا ينطقون اللغة العربية (وحاشا لله أن أنكر لتلك اللغة ، لغة الإسلام — وقاها الله شر الهجات — فضلها) أو لأنهم تأثروا بالفكر الرومانى أو تحضروا بحضارة البحر المتوسط ؟ إنما شادوا ما شادوا وبنوا ما بنوا لأنهم كانوا مسلمين قبل ومسلمين بعد ، ولن يأتوا بمثل ذلك أبداً إلا إذا أخلصوا للاسلام وجهروا به لا فى العبادة فحسب ، بل وفى تنظيم حياتهم الاجتماعية والسياسية ، وتنسيق شؤونهم المادية والاقتصادية جميعاً .

أما الخطة التى بسطها أخيراً نبيه أمين فارس فى كتابه « العرب الأحياء » — وهى مع الأسف الخطة التى تسير عليها الحياة السياسية فى الممالك العربية — فهى أخطر على الإسلام والمسلمين من شبح الشيوعية التى لا يتوانى ولاة الأمر فى مكافحتها باستغلال العاطفة الدينية بدون أن يصرفوا همهم إلى تنفيذ مبادئ الإسلام الاقتصادية مثل فرض الزكاة وما إلى ذلك .

نعم ، إن الخطة التى دعا إليها نبيه أمين فارس ، والتى تهدف إلى جعل محمد صلى الله عليه وسلم بطلا من أبطال القومية (معاذ الله من ذلك) — وبالفعل وصف محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة فى الرسالة التى تفضل بها أحد رؤساء العرب بمناسبة عيد الميلاد — ليست إلا ستراً لضعف المسلمين ، ومكيدة لحل قوامهم ، وضربة قاضية على كيانهم ، إن محمداً لم يجمع كلمة العرب فحسب ، بل جمع كلمة العرب والعجم جميعاً ، ثم كيف يفوت أحداً أن يتساءل : على أى شىء جمع كلمتهم ؟ العروبة أو الإسلام ؟ أقسم بالله أنى لم أتألم من قراءة أى كتاب حتى ما كتبه المستشرقون من الطعن فى الإسلام بقدر ما تألمت من قراءة هذا الكتيب الذى أعده أحق بالمصادرة من جميع ما تصدر الأحكام بمصادرته من يوم إلى يوم ، ولكن ما ذا نصنع إذا تخلى الأزهر الشريف عن وظيفته فصار يسير فى موكب الساسة وولاة الأمور دون أن يسمو إلى توجيههم وإرشادهم لوجه الله ، فهو يصدر الفتوى ضد الشيوعية وضد بيع الأراضى ليهود فلسطين ليساعد الحكومة فى بعض أعمالها ويسكت عن أشياء ليتجنب معارضة الساسة وعرقلة الحكومات (حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء) ، وليس هذا شأن أهم وأقدم مؤسسة للعلوم والثقافة الإسلامية التى لا تصور فصل الدين من الدنيا بأى حال من الأحوال . أفلا يجدر بالأزهر والمنتسبين إليه أن يترفعوا عن الحزبية والإقليمية اللتين ربما سببتا إقفال أبوابه ، ثم يشنوا حملة شعواء على ما يجدونه فى الشوارع والأندية والملاهى من العناصر والمظاهر والتقاليد غير الإسلامية فى حياة الأمة بأسرها بما فيها السياسة والحكومة والآداب الاجتماعية والأخلاق الفردية ؟ !

(البقية فى العدد القادم) السيد محمد يوسف الهندى

أبو خليل القبـــانى

باعث نهضتنـــا الفنية وهجرته إلى الديار المصرية

للأستاذ حسنى كنعان

— ٤ —

خضع الوالى « فاضل باشا » لإرادة عبد الحميد جبار بنى عثمان وأغلق مسرح القبانى ومنعه عن العمل على كره منه ، ولو توانى وقتئذ فى تنفيذ الإرادة السنية ، لكان طعمة للأسماك فى بحر مرمرة مقبرة الأحرار السلبيين ... ففرح خصومه الذين كان على أيديهم هذا الصفر ، وجزع عليه عشاقه وعارفو فضله وهم الأغلبية الساحقة فى البلاد ، ولكنها إرادة الجبار المجتثة من إرادة الله . فلم يجرؤ أحد على ردها . وما كان علماء دمشق جميعهم راضين عن إقفال هذا المسرح ، لأنهم كانوا يرونه مهذباً للأخلاق معواناً على الوعظ والارشاد ، وبث الأخلاق الفاضلة وتجنب الرذيلة ، حتى أن شيوخ القبانى الذين كانوا ينكرون عليه هذه النزعة فى مطلع حياته أضراب المفتى الشيخ محمود حمزة ذى النزعة الصوفية ، والشيخ واعظ السجدة وكبار العلماء المتقدمين ، كانوا لا يتورعون عن حضور مجالسه ومشاهدة رواياته الأخلاقية والتاريخية والاجتماعية المأخوذة من صور حياة البيئة التى ولد فيها ودرج فى أفيائها ، لأنهم ما كانوا ليروا فيها من الأمور المحرمة ما يخالف مبادئهم . أما الذين كانوا يناوئونه من أرباب العمائم الذين اتخذوا من هذه « الحرفة » التى تستر رءوسهم الفارغة وسيلة للتخلص من الخدمة العسكرية فى ذلك العهد ... وهم ليسوا على شئ من العلم ، ولقد لاقى القبانى من جور هذه الفئة وعتوها وفتنتها وشغبها ما زهده فى الحياة وجعله يقيم فى منزله معتزلا الناس لا يرى أحداً ولا يراه أحد ...

ولقد طال اعتزاله الناس والبعد عنهم حتى كادوا ينسونه ، وإذا ما فكر مفكر منهم فيه خاف جفوة السلطان وغضبه ... وكان هؤلاء الخصوم المرتزقون المتسكعون الذين طالما فادوا من أعطيات صاحبهم ومنحه ومبراته يغتنمون فرصة جور سلطانه وكلب زمانه فيركبونه بالشغب والازعاج كلما أبصروه على سبيل المصادفة فى طريقهم حتى أنهم كانوا يتبعونه الصبية المأجورين لهذه الغاية فيترسمون خطاه ، ويسمعونه من المدائح « والقريديات »[1] والأهازيج الموضوعة من أجل إغاظته وإزعاجه ما يندى له جبين الفضيلة والأخلاق كقولهم له :

أبو خليل النشواتى ... يا مزيف البنـــات
إرجع لكارك أحسن لك ... إرجع لكارك نشواتى
أبو خليل مين قال لك ... على الكوميدى مين دلك
إرجع لكارك أحسن لك ... إرجع لكارك قبانى
أبو خليل القبـــانى ... يا مرقص الصبيـــانى
إرجع لكارك أحسن لك ... أبو خليل القبـــانى

وكانت هذه الأهازيج تقض مضجعه ومضجع مريديه ، ولكن من ذا الذى يعارض ويدافع عنه وهو مجفو من السلطان والناس فى مثل هذه الساعات يظهرون معاداتهم لمثل من يكون هذا شأنه معهم ؟

وكان القبانى كثيراً ما يبقى شارد النوم موزع الفكر واللب من جراء ما يلقاه إلى أن أخذ يفكر فى الخروج من هذا المحيط الضيق الذى ضيقوا عليه فيه واسعاً . وفى ليلة من ليالى الشتاء العابس نبا به مضجعه وند النوم عن مقلتيه لشدة ما عراه من الفكر والهواجس ؛ وما أكثر الليالى الطوال التى كان يشرد فيها النوم عن عينيه ! وكان قد رنق النوم أجفانه فى الفجر فهب بعد ساعتين من هجعته على أثر سماع هاتف خيل إليه أنه يهيب به قائلا : أيها الراقد المتناوم المؤرق هب من هجعتك واطرد عنك الهم والحزن ، فإن مستقبلا لامعاً بعد لك وهو ينتظرك فى غير هذى البقعة الضيقة ... قم وابحث عن غير هذه المواطن التى تدفن فيها العبقريات : ...

إذا ضاق صدرك من بلاد ... ترحل طالباً أرضاً سواها
فإنك واجد أرضاً بأرض ... ونفسك لم تجد نفساً سواها

نهض على أثر سماعه صوت الهاتف وجعل يخطر فى غرفته ذهاباً وإياباً ويصيح بملء صوته : وجدتها وجدتها ...

(١) القريديات : من الشعر العامى

فصاحت به ربة الدار حانقة غاضبة ومن هي التي وجدتها يا رجل ... ؟ كفاك كفاك هراء ، لقد أمرضتني والله وأزغت عقلي بهذه الموجات الجنونية التي تواتيك الفينة بعد الفينة لا نوم ولا راحة ولا استكانة ولا شغل لك إلا بهذه الهواجس والفكر . إن الذي ألقاه منك ويلقاه بنوك الصغار قد يضيق الصدر منه ، ويعز الصبر عليه ، لا عمل لك ولا شغل إلا هذه المهاترات . ارجع إلى صناعتك الأولى وأرحنا من هذا العناء وخلصنا من شبح الكوبة ، قل لي : بالله ما الذي جنيته من الأموال وما الذي اكتنزته من وراء هذه الصناعة صناعة التمثيل؟ إنك والله ما جنيت منها سوى التعب ومعاداة الناس وجور السلطان ، وعار الأبد . إنك منذ مزاولتك هذه الصناعة قد ألبستني ثوب العار ، كما جلبت لنفسك ولرهطك مذلة الأبد بهذه « الضربويات » التي نسمعها والتي درجت على ألسن الناس مدرج الأمثال . وهل إنسان في الكون يطيق سماع عبارات كانتي توجه إليك ، وفيها التحقير والتشهير ، وأنت إلى هذا لا تستطيع أنت وصحبك أن تصنعوا شيئا ، أرأيت أن عبارة :

أبو خليل يا بومه   يا بو اللفه الرومي
اعطيني من ذقنك شعره .. لأصلح ها لبيتوني

لو وجه مثلها إلى أحقر إنسان في العالم أكان يصبر عليها ويرضى هذا الذل .؟

هنا استشاط القباني من الغضب والحنق وصاح بها مجيباً :

على رسلك يا امرأة ، وما تضيرني هذه الأهازيج والأقوال ، ولو كانت هذه العبارات تضر إنساناً أو تحول دون وصوله إلى غاياته وبلوغ أمنيته ، لأضرت بالعظماء وبالنبيين قبلي ، لأنهم كانوا يلاقون من عنت الناس وجورهم ما لا يقاس ما لقيته بشيء تجاه ما لقوه ، ومع هذا فقد مضوا في عملهم . صابرين مستكينين إلى أن أدوا رسالاتهم تامة غير منقوصة ، وجنوا ثمار جهودهم بأن خلدوا لهم ولأممهم أحسن الذكر . فكوني متفائلة يا امرأة . والذي آمله منك التشجيع ، وليس كالمرأة الصالحة معوان للرجل . فاستحيت هنا « أم خليل » ولامت نفسها قائلة « وأنا مالي أم علي تندب علي » وهنا نهض القباني المؤرق المتعب المكدود الذهن من فراشه وهو يردد قوله وجدتها والله وجدتها وجدتها ... ثم أمسك بيده قلماً وورقة وكتب بها رسالة إلى صديق له في الاسكندرية يدعى « سعد الله بك حلابو » وهو حمصي الأصل ومن أكبر تجار هذه المدينة الساحلية العظيمة ، وله مراكب تجارية تمخر عباب البحر وتنقل البضائع الصادرة والواردة إلى المدن والقرى الساحلية .

يستطلع رأيه في الرسالة بالشخوص إلى الاسكندرية . ولما اطلع حلابو على الرسالة وفهم فحواها طار فرحاً ، وجعل يمر بها على أصدقائه ويزف لهم بشرى شخوص هذا النابغ إلى الديار المصرية ، وكانت شهرته قد بلغت مسامع الكثيرين من المصريين . ولم تكن فرحة صديقه بالتي تذكر أمام فرحة هؤلاء المشتاقين من هواة الفن الذين يرغبون في اجتلاء طلعة هذا النابغ الذي طبقت شهرته الآفاق . وفي الحال أجابه صديقه التاجر الحمصي يزين له المجيء إلى الاسكندرية ، وأفهمه أن القطر المصري في انتظار قدومه وفي انتظار الحظوة بمشاهدة روائع فنه . وكان على أهبة السفر ساعة أتاه الجواب بلزوم الهجرة إلى القطر المعزي « بوتقة » العبقريين ، إذ ما من فنان أو مشرد طريد من بلاده مضطهد أمها إلا لقي في هذا القطر أهلا يحتضنونه ويحدبون عليه ، وأنا أعرف كثيراً من الفنانين الطريدين الذين أنكرهم بلادهم قد بسم لهم دهرهم على جنبات هذا الوادي الخصيب وكانوا من ألمع الشخصيات في فنهم ...

لم يأخذ القباني معه أسرته ولم يأخذ معه جوقته إلى الديار المصرية يوم نزح إليها مهاجراً مشرداً طريداً كما نرى ... بل ذهب بمفرده ، وكان سرور القوم به عظيماً جداً ، وما استقر قدمه في الاسكندرية حتى خف إليه عشاق فنه من كل صوب ، وبلغ من شهرته أن غدت الوفود المهنئة تفد عليه من القاهرة ، وكان مغتبطاً مسروراً بما لقي من ضروب الكرم وحسن الوفادة

وأخيراً حبب إليه عشاق الفن أن يؤم القاهرة ويفتح بها مسرحاً . وهناك أقاموا له مسرحاً في الأزبكية ، فاستقدم على الفور كبار رجالات جوقته من دمشق وأخذ يزاول العمل بهمة

(١) البيتون باللغة الشامية هو الحناء

لا تعرف الملل والكلال ، ثم استقدم أفراد أسرته وسكن القاهرة ناسياً بما لقيه من تشجيع وتنشيط كل ما لقيه في دمشق من ذل ومهانة ...

وكان التمثيل مجهولا في هذه البلاد التي قطنها ، ولذا أقبل أهلها على مشاهدة رواياته إقبالا منقطع النظير ، وعاد إليه حظه الباسم وحياته المرحة . ومن أشهر رواياته التي فتن المصريين بها رواية عنترة ، أنس الجليس ، ناكر الجميل ، « مترددات » « عفيفة » ملتقى الخليفتين ، « الكوكبين » « الأمير محمود » « السلطان حسن » « أسد الشرى » « لوبسا » وغيرها من الروايات التي سحر الناس بها ، وزيادة في الافتتان بهذه الروايات طبعها عازفو فضله وتداولتها الأيدي ، وأمست شغل الناس الشاغل ...

يتبع — دمشق حسني كنعان

الشعر في الســـــودان

للأستـــــاذ علي العماري

— ٦ —

لم يكن غرضي في هذه الأحاديث أن أعسر الحساب مع شعراء المدرسة القديمة ، ولا أن أتتبع هفواتهم ، وأخطاءهم ، وإنما أردت أن أكون مؤرخا . وهذا هو الهدف الرئيسي لهذه البحوث ، فإذا صحب ذلك شيء من النقد فإنما هو استطراد واستتباع ، وليس من الإنصاف أن نغوص في ثنايا هذا الشعر محققين مدققين ، وحسبنا أن نقف هذا الموقف (السمح) وأن نلمس هذا الشعر لمساً خفيفاً رفيقاً وأن تبرز صفاته العامة ، ونكشف سماته المشتركة ، دون أن ندخل في التفاصيل فنحكم لشاعر على شاعر ، أو نضع الشعراء في طبقات كما كان يفعل بعض النقاد القدامى ، فذلك مالا أريده ، أو بالأحرى ما أعتقد أنه عن غرضي بمنأى ، وإنما كان الإنصاف في مسلكي الذي سلكته لأنه يكفينا من هؤلاء الشعراء أنهم قالوا الشعر في تلك الأيام الخوالي بل قالوه في أغراض لم تكن البيئة مهيأة لقبول القول فيها .

ولعلي بهذه الكلمات أكون قد أجبت ذلك الفاضل الذي كتب إلى (بلومتي) على أني أكتب بقلم المؤرخ لا بقلم الناقد وأتجاوز عن أشعار كان الواجب يقتضيني أن أكشف للقراء بهرجها ، ثم أمضي إلى الغرض .

في حديثي السابق تحدثت عن شعر النسيب ، وذكرت أن كبار العلماء قد خاضوا فيه ، وفي حديث أسبق تحدثت عن مكانة المدائح النبوية وكثرتها عند السودانيين ، وكان وقع في نفسي حين وجهت النظر إلى كتابة هذا البحث أني سأظفر بقصائد رائعة في الغزل على طريقة (ابن الفارض) فإن جميع الأسباب كانت مهيأة لهذا الغزل الإلهي ، فكثير من العلماء الزهاد شعراء ، وقد بدت رغباتهم في شعر الغزل . ولشعر ابن الفارض مكانة خاصة عند المتصوفين من هؤلاء العلماء ، ولكن شد ما أخذ مني العجب حين لم أجد من هذا النوع شيئاً تطمئن إليه النفس ، ولاشك أن خلو الشعر السوداني من هذا النوع — وقد تهيأت أسبابه — أمر يدعو إلى العجب .

ولكن الدين عند الشعراء لا تجد الهجاء غرضاً ذا بال في أشعارهم ، والذين قالوا في هذا الغرض لم يطيلوا فيه ، بل ربما ذكر البيت والبيتين ومروا به مروراً سريعاً . ومن القليل أن نرى هجاء مستقلا ، وهو — مع ذلك — لا يعدو الطريقة الدامة من الرمي بالنفاق والغدر والكبر ، وربما رق الهجاء وتبذل ولكنه بعد ليس أليم الوخز ، ولا نافذ السهم ، يقول الأستاذ صالح عبد القادر يهجو ذليلا أحدث نعمة فطغى أن رآه استغنى ، في قصيدة مطلعها :

لا تفرحنَّ بنعمة إن الزمان له انقلاب

وبعد أن وصف الزمان وأنه يحكم برفع الذئاب إلى مرتبة الأسود ، وينقل الملك العظيم من سرير الملك إلى أعماق القبر قال :

ولقد رماك الدهر حـ ـتى هنت في نظر الكلاب
أنا على مـــاضيك لم نسدل ستاراً أو حجاب
أنسيت نومك في الترا ب فصرت تحكم في الرقاب
أنسيت أيام (البليـــلة) والبسارة والهباب
فغدوت تأكل ما علمـــت وما جهلت من (الكباب)
جـــلَّ المهيمن إنه يهب الأنام بلا حساب

وإذا وصل بنا القول إلى هذا الشعر الفكاهى فإنا نقول إن الفكاهة ليس لها مكان فى البيئات المتدينة ، بل إن الشعب السودانى لا يكاد يقبل عليها ، وربما كان لذلك أسباب كثيرة غير التدين ، ومن الممكن أن نقول أنه ليست هنا فكاهة مستقلة . ولقد دأبت بعض المجلات السودانية على أن تنشر طرائف يتفكه بها القراء فكان اعتمادها على ما ينشر فى المجلات المصرية ، ونتيجة لهذا قلت الفكاهة فى الشعر السودانى ، على أنا نلمحها لمحاً فى بعض القصائد ، فهى لا تكاد تأخذ إليها نظر القارىء ولا فكره . وربما جاءت فى أثناء الهجاء ، أو فى معرض شكوى ، أو فى رثاء شيء فقده شاعره ، وقد تكون الشكوى مرة عميقة ولكن الشاعر يسوقها فى شعر خفيف يظنه القارىء يميل إلى الفكاهة ، وما هو إلا الجد فى معرض الهزل ، يقول الشاعر الشيخ حسيب فى (مرتبه) .

أمرتبى مالى أراك (م) قصرت عن نيل المراد
أشكوك أم أشكو إليك نوازل المحن الشداد
الشهر باق جله وبقاك آذن بالنفاد
أنا إن خبيت سأشترى حظى بأطراف الحداد
أما اليراع فإننى لم أجن منه سوى الكساد
يا صاحب الدرجات والقانون والرأى السداد
أطلق فداك مرتبى بعض القيود لكى يزاد
رفقاً بمن قيدته بقيود (ثامنة) شداد
فكأننى وكأنه ظمآن آل فى وهاد
وكأننى متقلد من غير ما سيف نجاد

ولقد أعجبنى حقاً هذا التشبيه ، تشبيه موظف فى الدرجة الثامنة ، والحياة عليه قاسية ، ومرتبه لا يفى بضروريات عيشه ، برجل متقلد نجادا ، ولكن ليس معه السيف ، فيخاله الناس صاحب سيف يرد به حوادث الأعداء ، فإذا هو أعزل ليس له من السيف إلا حمالته التى لا تدفع عدواً ، وهذا يسميه الناس موظفا ، ويرونه يروح ويغدو على عمله ، وربما حسدوه ، فإذا هجمت عليه عوادى الأيام ، وحزبته ضرورات العيش ، فتش فى جيوبه ليجد ما يردها ، ولكنه لا يجد إلا نجاد السيف ؛ أما السيف ففى أوهام الناس وخيالاتهم .

وهذه قصيدة فى رثاء ساعة فقدها الشاعر فبكاها ، وليس لشعراء السودان اتجاه – إلا قليلا – للقول فى الأشياء الصغيرة ، وكأنهم لا يرون الشعر إلا ما كان فى مدح أو هجاء أو رثاء ، ولكن هذا الشاعر تظرف فقال فى ساعته :

لى ساعة معروفة بالصدق فى جنح الظلام
لا البرد يوقفها ولا يودى بسرعتها الغمام
اغتالها الدهر الخئون ، وليس سلما للكرام
لم يغن عنها حصنها جيب القباء أو الحزام
أحفيظة الوقت الثمين وخير ساعات الأنام
أصبحت بعدك فوضويا لا أساس ولا نظام
أبدأ تحث على المضى إلى الأمام إلى الأمام
تفديك ساعات تؤخر أو تقدم أو (تنام)

أما الجد فهو السمة الغالبة على الشعر السودانى كله ، ولا سيما حين يفخر الشاعر أو يصور بعض أحوال قومه ، فهذا[1] يقول :

أيها الدهر أنا من معشر حكموا الرأى وهزوا العلما
فاسأل العالم عنا إننا أمة كنا وكانوا عدما
من لقومى إنهم قد أهملوا ما بنى آباؤهم فانهدما
يا بنى قومى أفيقوا أنكم ما خلقتم لتعيشوا (غنما)
ليتنى أعرف ما أخركم سادة كنتم فصرتم خدما
ولقد يحزننى أنى أرى رأيكم مختلفاً منقسما

وذاك[2] يقول :

كم وقفة لى أبكيت الجاد بها أسمعته وهززت النيل والهرما
حليت عاطل جيد الدهر منه بما ودالغوانى لوأن جيدها نظما (كذا)
مضى زمان وقلبى ممتل ألما وفى فؤادى أسى كالنار مضطرما
حزناً على أمة بالنيل نائمة تشكو الأوار وأخشى أن تموت ظما

وأما القول فى الخمر فهو قليل ، وطبعى أن يقل القول فى هذا الغرض لسيادة التدين على النفوس ، على أنا نجد بعض الشعراء يتغاضى عن عواطف الناس ، ويقول فيها ما يحلو له ، فهذا عثمان هاشم يجاهر بالقول فيها ، مع ما لبيته من مكانة دينية يقول :

أدر الراح علينا باليمين تحت ظل الورد بين الياسمين

---

(١) هو الأستاذ صالح عبد القادر محرر مجلة (هنا أم درمان) .
(٢) هو الأستاذ عبد الرحمن شوق .

فمن رب الحان للشرب بها   واصطفاها إذ رآنا قادمين
ملأ الأقداح منها بعد ما   راضها بالمزج من ماء معين
فشربناها غبوقاً في الدجى   ووصلناها صبوحاً بالأذين

وأنا شديد الإعجاب بهذه الاستعارة الفذة (راضها بالمزج) فإن الخمر – على ما أعرف من قراءاتي – تكون كالفرس الجموح فإذا صب عليها الماء هدأت وسكن بعض سورتها ، وكم بين رياضتها بالمزج في قول هـذا الشاعر ، وبين قتلها بالماء في قول حسان بن ثابت :

إن التي ناولتني فرددتها   قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كم بينهما من مشابه يعرفها الخبيرون !

هذا . وبقي أن نسرح النظر قليلا في أسلوب هذا الشعر ، فنقول إن الطبائع العربية ، واللهجات العربية أظهر ما تكون في سكان السودان ، وكثير من الكلمات العربية الفصيحة يستعملها العامة كما يستعملها الخاصة ، وهنا – كما في كل مكان – ألفاظ خاصة لها حظوة فهي كثيرة الدوران على الألسن ، فإذا فتشنا عن هذه الألفاظ لا نجد لها في الشعر أثراً ، كما أننا نفتقد الألفاظ الجزلة ، والأساليب الضخمة ، مع أن كثيراً من الشعراء كانت لهم أقدام رواسخ في اللغة والأدب ، لكن الشعراء مغرمون بالبديع ، وربما تكلفوه تكلفاً ، فالجناس والتورية ، وحسن الابتداء وحسن التخلص ، من مقاصدهم الشعرية ، فمن التورية قول أحدهم في صديق له اسمه شوقي :

إن نسوا ودك يا شوقي فما   أنا إلا حافظ ما جهلوا

وقول الآخر :

ولست بخائف حصرا وعيا   وشوقي فيه يمليني نشيدي

ومن الجناس قول الشيخ عبد الله عبد الرحمن يخاطب الأستاذ علي بك الجارم حين زار السودان :

أما استعارات البيان فإنها   عبء ينوء به الشباب ثقالا
يجرون أذيالا ولا يجرونها   ويرون في طرقاتها الأوحالا
ها (عرضحالي) يا علي مقدماً   ماحال من دون عرضي حالا

ومن حسن التخلص قول الشيخ محمد عمر البنا :

وليل بت فيه سمير أنس   قرير العين مشروح الفؤاد
كأن صفاء أنجمه علينا   أيادي النعم عثمان الجواد

وللشعراء ولوع بالتأريخ الشعري ، وله أمثلة كثيرة في أشعارهم ، وقد ينظمون شعراً يمكن قراءته على وجهين ومن ذلك قول الحبر الجليل الشيخ الأمين[1] الضرير من قصيدة نبوية كبيرة :

حمداً لمن أبدى لنا سبحانه   من أمنا بهداه إذ قد صانه
نسباً صريحاً عن خفي ومكانه   في القرب لم يدرك رسول ذوثنا

فيمكن جعل هذين البيتين ثلاثة ، فتكون نهاية البيت الأول (أمنا) ونهاية البيت الثاني (عن خفي) وهكذا كل القصيدة .

وبعد فقد امتد بنا نفس القول في شعر هؤلاء الشعراء الذين كانوا الهداة الرائدين ، وما بلغنا الغاية ، ولكنا سنكتفي بما قلناه ، لنفرغ لشعر شباب السودان ، ونرى إلى أي شوط جروا في نهضتهم الشعرية ، ونأمل أن نبلغ من ذلك وطرا ، ونستعين الله ، وبه التوفيق والسداد .

علي العماري
مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمي بأم درمان

(١) الشيخ الأمين محمد الضرير كان من علماء السودان الأعلام ، ويقول عنه صاحب (شعراء السودان) : « كان سيداً مطاعاً في عشيرته ، نافذ الكلمة عند الحكام ، شجاعاً ، منتصرا للحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وهو عدا ذلك شاعر من الشعراء الفطاحل تنم قصائده عما حوى ذلك الصدر الرحيب من سعة الاطلاع ، والتبحر في اللغة والأدب » وأقول . وهو كذلك وقد ربى جيلا من علماء السودان وأدبائه لا يزالون يقرون له بالفضل ، ولا يزال العلم والفضل في ذريته ، وتلاميذه (علي) .

الصراع الفكرى فى تركيا (*)

عرض وتلخيص

للأســـتاذ محمد محمد على

إن التفاعل بين الأفكار الإسلامية والغربية موضوع على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للعرب فضلا عن الأتراك الذين احتلوا مركز الصدارة فى العالم الإسلامى خمسة قرون ...

اتصل الأتراك بالإغريق ، بعد دخولهم الإسلام فى أوائل القرن الحادى عشر ، ثم عن طريق الفلاسفة ، وفى السنوات الأولى من العهد الإسلامى كان الأتراك فى شك من نجاح الإسلام المطرد . بيد أن مقدرة الدولة العربية على تنظيم شئونها الاقتصادية والاجتماعية وقفت أمامهم ، ثم إن « شخصية » الإسلام الواقعية والحازمة لاءمت المزاج التركى . ولقد دافعوا فى يوم من الأيام بحرارة عن دينهم الجديد .

ويرى البيرونى — أكبر رياضى القرن الحادى عشر — أن الحضارة الإسلامية كانت امتداداً للحضارة اليونانية . ومع ذلك فيجب أن نقرر أن المؤثرات اليونانية كانت ضعيفة ، إذ كتب الفلاسفة وناقشوا المشكلات الفلسفية واللاهوتية ، لكن الفكر الإسلامى لم يتقدم إلا بين الجماعات المعارضة وبين هؤلاء الأحرار الذين اشتهروا فى تاريخ الإسلام مثل المعتزلة أو العقليين .

ولعل الفارابى — الذى لا ينبغى أصله التركى — أحد الفلاسفة الإسلاميين الذين حاولوا شرح الأفكار الإسلامية كما جاءت فى القرآن مع فلسفة أرسطو وأفلاطون . فقد كان أول فيلسوف إسلامى أعطى أهمية كبرى للأفلاطونية الحديثة فى الفلسفة الشرقية ، كما كان أول من عرض مشكلة العلاقة بين الروح والعقل . وجاءت أعمال الغزالى فى القرن الثانى عشر مكملة لأعمال الفارابى . وتطورت الروحانية حتى الأزمنة الحديثة واتخذت فى النهاية شكلا مغايراً ، وتميزت بتغلب العاطفة على العقل ، ثم فقدت طابعها الفلسفى .

بلغ الفكر الإسلامى هذا الطور فى القرن الثالث عشر حينما سيطر السلاجقة على هضبة آسيا الصغرى ، وهم سلالات الأتراك العثمانيين وأجداد سكان تركيا الحاليين . وكان يدرس فى مدارسهم الفقه والإلهيات فحسب ، وتشكلت الدراسة دائماً بطابع القرآن الكريم والسنة الشريفة . وفى النصف الثانى من القرن ظهر الشاعر الصوفى والفيلسوف الكبير جلال الدين الرومى [1] فندد بالجهل الذى خيم على الناس تجاه المسائل الفلسفية . ومن الواضح أن العلوم العقلية والفلسفة اليونانية فى مظهرها الحقيقى لم تكن قد ظهرت بعد حيث يقطن الأتراك اليوم .

وفى القرن الخامس عشر ، بعد تكوين الامبراطورية العثمانية بقرن ونصف ، كان الفكر الإسلامى لا يزال متخذاً الطابع الدرسى من دراسة الأدب والفقه ؛ ولئن كانت تناقش الفلسفة والعلوم العقلية وأفلاطون وأرسطو ، فإننا لا نلمح أى أثر للروح الفلسفية الانتقادية التى ميزت الفلسفة اليونانية . وفى ذلك الوقت كان الشاب الذى لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره : محمد الفاتح قد اتصل بجيرانه الأوربيين . وقد دخل القسطنطينية عام ١٤٥٣ على أنقاض الحضارة الغربية فى الشرق . واهتم السلطان الفتى بالمدرسة الفلسفية اليونانية التى كانت أساساً لجميع الأفكار فى العصور الوسطى فى غربى أوربا ، وبلغ اهتمامه بدراسة اللاهوت حداً جعله شغوفاً بالمسيحية وكانت رغبته فى الواقع هى الدراسة المقارنة للدينين العظيمين والميتافيزيقا ، وذلك ليوجد الاختلاف بين العقل والروح . كان يحاول أن يخلق تفاعلا وتداخلا بين الحضارتين الإسلامية والغربية ، على أن يكون للنظرة الانتقادية المحل الأول .

لكن ينبغى أن نقرر أن هذه الجهود لم تكلل بالنجاح ، وأن تركيا عادت يوماً إلى جمود العصور الوسطى الذى استمر حتى

(*) ملخص مقال الأستاذ عبد الحق عدنان أديفر المنشور فى عدد يولية سنة ١٩٤٧ من مجلة الشرق الأوسط التى تصدر فى واشنطن أربع مرات فى السنة . والأستاذ رئيس تحرير الطبعة التركية من دائرة المعارف الإسلامية . وهذا المقال الذى نعرض ملخصه اليوم كان قد تقدم به إلى مؤتمر الشرق الأدنى الذى عقد فى جامعة برنستون بالولايات المتحدة من ٢٣ — ٢٥ مارس ١٩٤٧ .

(١) راجع الدراسة التحليلية التى كتبها الأستاذ عبد الوجود عبد الحافظ فى العدد ٧٩٥ من الرسالة .

القرن التاسع عشر بل والعشرين ، فى الفترة ما بين فتح القسطنطينية ومعاهدة كارلوتز ١٦٩٩ وصلت الجيوش التركية إلى وسط أوربا وأنشأت علاقات مع الأمم الغربية . غير أن هذه القوة العسكرية عجزت عن تكوين صلات فكرية بين الشرق والغرب . بل إن النزعة الحديثة فى عصر النهضة عادت القهقرى أمام روح الجمود التى سادت فى البلاد الإسلامية .

وبلغت تركيا شأواً كبيراً من التوسع فى القرن السادس عشر ، إبان حكم سليمان الكبير . ومع ذلك لم يتقدم التفكير الفلسفى والعلمى خطوة واحدة مع التقدم السياسى فى عصر المجد والعظمة هذا . وقد لاحظ الأستاذ « كريبر » أنه ليس من الضرورى أن يتفق العصر الذهبى لحضارة مع التفوق والرقى لوطنها فبعد هذا التوسع لم تمط الفرصة لتطور النهضة فى تركيا أمام النزعة التقليدية فى الفكر الإسلامى . وقد عبر جغرافى القرن السابع عشر كاتب جلبى عن يأسه من الأحوال التى أطاحت بالمعارف الإنسانية من معاهد التعليم التركية : « وعلى ذلك سينظر الناس إلى الكون بعيون الثيران ! » . ويوضح ذلك أن نظام كوبرنيكس ذكر لأول مرة عام ١٦٨٥ فى الترجمة التركية للأطلس الأعظم Atlas Magor .

ويمكن القول إن عام ١٧١٦ تقريباً يعين بدء الاحتكاك بالفكر الغربى ، عند ما كان هناك تجديد وإصلاح فى الجيش التركى ؛ إذ أدخلت الرياضيات الحديثة فى برامج المدرسة الهندسية العسكرية . وفى عام ١٧٢٨ أسس الكاتب التركى إبراهيم متفريقا Muteferrica أول مطبعة ، وبدأ ينشر ما يؤلفه ويحرره عن الحضارة والعلوم الغربية .

ولما شبت نيران الثورة الفرنسية ظهر اتجاه على جديد . إذ أعجب السلطان سليم الثالث بالحركة الفكرية السياسية — فى العالم المتمدن — التى جذبت انتباهه إلى الحضارة الغربية . فى أوائل القرن التاسع عشر فتحت مدرسة طبية حديثة .

ثم جاء عام ١٨٣٩ فبدأ عهد إصلاح جديد ؛ هو عهد « التنظيمات » أو تنظيم الإصلاح . وقد عم تأثيره كل نواحى الحياة السياسية والاجتماعية . وبالنظر فى هذا الاحتكاك بين التفكير الغربى والتفكير الإسلامى فإنه يلوح للباحث أن لا بد من وجود تفاعل وتداخل بين وجهات النظر . إنما هذا التقدم لم يظل قائماً ، لأن طبيعة الدولة الأوتقراطية والدينية ، تعارضت مع تبادل الآراء واحتكاك الحضارات . بل إن هذه الفترة التى استمرت حتى الثورة التركية الصغرى ١٩٠٨ امتازت بالرغبة فى المحافظة على المظهر الدينى للاسلام أمام تيار العلوم الحديثة . حتى أن الكتاب الحدثين الذين درسوا فى الخارج ، لم يترددوا فى الذود عن الأفكار الدينية البحتة ، والمعارضة للحقائق العلمية . على أن هؤلاء لم يؤمنوا بما كانوا عنه يدافعون ؛ إنما دفعهم إلى عملهم هذا ما ظهر من ضرورة الإبقاء على النظام القديم . وفى أواخر عهد عبد الحميد الثانى ، كانت موجة العداء للفكر الغربى شديدة ، بفعل ثورة ١٩٠٨ ، إذ أخرجت كلة « حكمة » من القواميس بأمر الحكومة ! وبالرغم من كل هذا فقد كانت الأفكار الغربية تنتشر . وقد ترجم أحمد مدحت كتاب ج . و . درابر . تاريخ الصراع بين الدين والعلم . وفى معرض نقده لأفكار المؤلف ، أكد المترجم أن ليس هناك معارضة للعلم فى الإسلام .

ولئن كان المثقفون فى عهد التنظيمات قد حافظوا على العقلية الشرقية ، فإنهم اقتبسوا الجانب الفنى من الحياة الحديثة ، واستطاعت قلة منهم التوفيق بين المعتقدات الاسلامية والعلم الحديث . فكانت الجمعية العلمية العثمانية (١٨٩٧ — ٩٨) المعهد الوحيد الذى كان مشغوفاً بالأفكار الغربية ، إذ جمعت بين المثقفين الأتراك الذين يعرفون لغة أوربية على الأقل ، وأخرجوا : « المجلة العلمية » meimua i funun أول نشرة تركية يستطيع المرء أن يطالع فيها أبحاثاً رائعة . وقد اتخذوا وجهة نظر فلسفية علمية ، ولم يلقوا بالا إلى الجمود الدينى للعلماء الرسميين [علماء الرسوم] Ulema i rusum ولسوء الحظ لم تعمر هذه الجمعية طويلاً وذهبت معها مجلتها . وباختفائها صادرت الحكومة كل الانتاج الفكرى الفلسفى . وفى نهاية عهد التنظيمات لا يكاد الباحث يعثر على أى أثر لاحتكاك الأفكار الشرقية والغربية فى تركيا . ومع ذلك فإن غزو التفكير الغربى كان سائراً إلى الأمام بفضل المدرسة الأدبية التى عرفت باسم Servet i funun ومجلتها

وقامت الثورة التركية الصغرى فى ١٩٠٨ وامتد لهيبها إلى النواحى السياسية ، وتبع ذلك نشاط ثقافى ، فأدخلت الفلسفة

وعلم الأديان المقارن فى دراسات كلية الآداب بجامعة اسطنبول ومهدت الحرية السياسية الطريق لحرية التعبير وأصبح فى الامكان نقد الأديان . وفى أول العهد الدستورى ترجمت كتابات وآراء بعض الماديين فى القرن التاسع عشر مثل لدقيج بخنر ، وإرنست هيكل كما كثرت المناقشات حول آراء فولتير وروسو وباقى الانسكلوبيديين .

كان الصراع الفكرى على أشده — وإن لم يكن واضحاً ، واتخذ كل جانب موقفاً عدائياً تجاه الآخر . وفى وسط هذه المعركة قام الاجتماعى التركى زيا جوك ألب بدور الوسيط بين الجماعات المتحاربة ، وحاول أن يوفق بين التفكير العملى الغربى وبين التفكير الإسلامى الدينى . وهو كتلميذ مخلص لدور كهيم قد ميز بين المدنية Civilisation والحضارة Culture . ورأى أن تركيا ينبغى أن تقتبس من المدنية الغربية على أن تحتفظ بشخصيتها القومية . وطالما نصح مواطنيه بألا يهملوا الإسلام وحضارته ولا يغضوا الطرف عن المدنية الغربية . ولئن كان واضحاً فى إعلانه عن ضرورة الاقتباس من العلوم والفنون الحديثة ، فإنه كان غامضاً فى مسألة الفلسفة . رأى أن يكون للأتراك فلسفة قومية لكنه لم يحدد ما يجب أن تكون عليه هذه الفلسفة ، إذ كان متردداً بين آراء دور كهيم الاجتماعية وفلسفة برجسون الروحية . إلا أنه لم يعمل على إعادة الوفاق بين الاتجاهين ؟ لأن هذا كان عملا شاقاً .

لقد كان لتعاليم زياجوك ألب تأثير عميق على تلاميذه وأصدقائه أعضاء جمعية الاتحاد والترقى الصغرى . وفى رأيه أن قانون الأسرة الذى وضعه من قبل فقهاء المسلمين لا يجوز إجراء تعديل فيه . وكان لسان هذه الحركة : مجلة جمعية الاتحاد الترقى yeni MeJmua التى ظهرت رغم طابع الدولة الدينى — التى كان يرأسها الخليفة صاحب السلطتين : الدينية والزمنية .

غير أن أسوأ خطر وقع فيه زياجوك ألب هو ترجمته كلمة علمانى laic بـ (لا دينى) ، الأمر الذى أدى إلى نشر المداورة بين شيوخ المسلمين .

وقد عبر عن الاتجاه الإسلامى فى ذلك الحين مجلة « الصراط المستقيم » التى عرفت بعد باسم « سبيل الرشاد » والتى صبت جام سخطها على زعماء الحركة التحررية التى قادها زيا جوك .

وامتازت هذه الفترة من تاريخ تركيا بتغييرات الحكومة الفجائية وبأعمال المعارضة التى كان من هدفها السياسى تحريك الأتراك المسلمين ضد حكومة الاتحاد والترقى وذلك بتفسير محاولة الجمعية فى الإصلاح بأنها إلحاد فى الإسلام .

وبعد عام ١٩١٢ لم تكن هناك فرصة للنشاط الثقافى بسبب حروب طرابلس والبلقان ثم أوربا . وكانت الحكومة التى أسستها قوات الاحتلال قد قضت على كل العواطف الدينية بين الناس حتى تقضى على بوادر الحركة التحررية والاستقلالية . إذ تطورت هذه الحركة أخيراً ، وأصبحت منظمة قوية حالفها النجاح بعد أربع سنوات من اليأس . وليس من شك فى أن الأتراك — باهتمامهم بهذا الكفاح — لم يكن لديهم فرصة لمناقشة المسائل الثقافية .

وأنشأت الحكومة التركية الجديدة فى أنقرة ، وأطاحت بالسلطنة عام ١٩٢٣ وتركت الخليفة فى اسطنبول بغير سلطة ولا قوة ، ثم ألغت الخلافة بعد ذلك بعامين ، مع المحاكم الشرعية وكل المعاهد الدينية فى أنحاء البلاد . وصبغ الدستور الجمهورى بالصبغة العلمانية ، وذهبت جهود المدافعين عن الإسلام مع الريح أمام تشدد الجمهورية فى التصريح بهذا التفكير . وكانت التيارات الغربية قوية جارفة ، لدرجة أنه كان يصعب على المرء أن يطلق عليها تفكيرا ، بل هى « تقاليد رسمية للالحاد » وبتفسير لغة الأستاذ جب الخيالية ، يقال إن تركيا قد أصبحت مقبرة جميلة ... !

ولم تتردد الجمهورية فى أن تعلن أنها حامية العلوم والمدارس الفكرية ، وحاولت أن تجعل الدراسة فى جميع المعاهد على أسس الخير والحق والجمال ! وظهر الجيل الجديد بعد عشرين عاماً من غير أن يتذوقوا لتعاليم الدين طعما . واليوم يحتل الفكر الغربى الجديد محل الفكر الإسلامى القديم . وليس فى الإمكان أن تحدد تاريخاً لظهور النزعة الحديثة مع التداخل بين الأفكار الإسلامية والغربية فى تركيا ، فليس هناك تفاعل حقيقى ، إنما هناك طغيان للأفكار الغربية .

وفى ديسمبر ١٩٤٦ تقدم نائبان فى الجمعية الوطنية — أثناء

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٢)

(١) النفس عند ابن سينا (٢)

للأستاذ كمال دســوقى

حدثتكم فى المقال الســابق عن موضع دراسة النفس من العلوم العقلية عند ابن سينا ، أعنى أين يقع علم النفس من قائمة العلوم ولوحة المعارف عنده ، وأين كان يعالجها فى معظم كتبه ؛ فربطتها لـكم بما يسبقها من الأمور الطبيعية الـكلية التى قلت لـكم إنها دائماً آخرها ، وبما يتلوها من القول فى الإلهيات ؛ التى قلت لـكم إنها تمهد لتناولها فى نقطة « العقل الفعال » . واليوم أحدثـكم عن موضع النفس ذاتها من سلـلة الوجودات المـادية والروحية ، وصلتها بما فوقها وما تحتها — قبل الدخول فى تفصيل قواها وملـكاتها — فإن النفس تشغل فى مذهب ابن ســينا فى الوجود مكاناً لا يقل دقة واطراداً عن المـكان الذى رأيتم أن علم النفس يشغله فى تصنيف العلوم العقلية عنده .

وحين نقول الإلهيات théologie فإنما نعنى بها ما كان يسميه أرسطو ما بعد الطبيعة Metaphyzique فإن الإسلاميين قد حولوا هذا العلم لأرسطى إلى ما يرضى عقائدهم ، ويؤيد إيمانهم ؛ حولوا ميدانه إلى « النظر فى الواحد ولواحقه بما هو واحد » أى النظر فى الله الواحد والـكثرة التى تنشـأ عنه ؛ لأن كل موجود عند ابن سينا يصح أن يقال له فى ذاته واحد (النجاة ص ٩٨ :) ، وكان أرسطو حين نظم هذا العلم وعرض فيه آراء سابقيه يحدد موضوعه بأنه « البحث فى الوجود بما هو موجود » فلا يعترض عليه أن يبحث فى الواحد ويدلل على الألوهية ، بل يترك له تحقيق ذلك إن اسـتطاع .

على أن مشـكلة ابن سينا فى هذا الصدد لم تـكن إثبات الوجود ، ولا واجب الوجود بقدر ما كانت مشـكلة صدور الخلق عن الخالق ، وكيف ينشأ هذا الوجود المتـكثر — الذى لا شك فى كثرته — عن الإله الواحد — الذى لا شك فى وحدانيته ؛ خصوصاً وأن الواحد عنده وفى مذهبه لا يصدر عنه إلا واحد ، وواحد فقط ؟

ولـما كان مذهب أرســطو وحده لا يعينه على إثبات هذه النظرية لانتقاله من الـكثرة إلى الواحد ، ولما فيه من تفسير مادي عقلى قد يتعارض مع الدين — مما يتحاشاه كل فيلسوف متأثر بالدين ، فإن مذهب أفلوطين كان أقرب إلى إثبات ذلك منـه . وأفلوطين قد ذهب إلى أن الخلق يفيض عن الخالق ، وأن الوجود يصدر عنه بمحض الجود . فيتبعه الإسلاميون فى هذا ، كما تبعوه فى غـيره ؛ سواء من علم منهم أنه لأفلوطين — على اختلاف بينهم — فأوقعهم ذلك فى القول بقدم العالم من حيث لا يشعرون .

ويذهب ابن سينا فى ذلك إلى تصنيف الوجودات من حيث الجهة إلى واجب الوجود ، وكل واجب أو ممـكن فهو إما بذاته أو بغيره ، ومن هذين التقسيمين الثنائيين مجتمعين تنقسم

مناقشة ميزانية وزارة المعارف — بسـؤال عن مستقبل المعاهد الدينية ، وخاصـة تلك التى يدرس الشعائر الدينية فيها أفراد معينون ، إذ أن هذه الدراسات لا ترعاها الحـكومة ، وأن هؤلاء الأفراد المعينين ليسوا متخصصين فى طرق إعداد المعلمين . فأجابت الحـكومة إجابة تهرب من السـؤال ، إذ خشيت رد الفعل الدينى الذى قد يهدد نظم الجمهورية الحديثـة . وبعد أيام انتقلت هذه المناقشة إلى اللجنة المركزية للحزب الحـكومى . وهـذا الحادث — الذى لا يعتبر غير غريب فى الغرب — ذو أهمية كبرى فى تركيا اليوم ، لأنه فى العشرين السنة الأخيرة لم يكن ممـكنا حدوث مثل هذه المناقشة فى أى نوع من الاجتماعات السـياسية أو الثقافية .

وعندما يبزغ نور الروح الانتقادية فى تركيا ، فإن التفاعل بين الأفـكار الاسلامية والغربية سيتخذ شـكلا موحدا واضحا . وربما ينتج عن هذا التفاعل إصلاح دينى فلسفى فى حدود الشـكل العلمانى للجمهورية . غير أنه عندما يحدث إصلاح من هذا النوع هل تستطيع تركيا أن توجد منابع تراثها الثقافى وتخلق حركة ثقافية متـكاملة ؟

تلخيص

محمد محمد على

قسم الجغرافيا بجامعة فؤاد

الموجودات إلى واجب الوجود لذاته ، وممكن الوجود بذاته ، ثم إلى ممكن بذاته واجب بغيره .

وواجب الوجود عنده — كما تجدون فى المقالتين الأولى والثانية من إلهياته هو الوجود الذى متى فرض غير موجود عرض منه محال ؛ أما ممكن الوجود فهو الذى إذا فرض غير موجود أو موجوداً لم يعرض منه محال . فالواجب الوجود هو الضرورى الوجود ، والممكن الوجود هو الذى لا ضرورة فيه بوجه — يعنى فى وجوده أو فى عدمه — فليس وجوده أولى من عدمه إن انعدم ، ولا العكس إن وجد ، فهو الذى ليس ضروريا ولا ممتنعاً . وواجب الوجود — كما قلنا — قد يكون واجباً بذاته وقد لا يكون بذاته ، فواجب الوجود لذاته « هو الذى لذاته لا لشىء آخر » ، أى أن مجرد افتراض العدم فيه محال . وأما واجب الوجود لا بذاته « فهو الذى لو وضع شىء مما ليس هو صار واجب الوجود » . فالأربعة مثلا واجبة الوجود لا بذاتها بل بفرض اثنين واثنين مجموعين أو مضروبين . والاحتراق واجب الوجود أيضاً لا بذاته ، بل بفرض تلاقى القوة المحرقة بالقوة المحترقة (ص ٢٢٤) .

وأدلته فى إثبات واجب الوجود كثيرة ليس عليكم أن تحيطوا بها ، وحسبكم أن تتبينوا أن كثرتها إنما جاءت من تسليمه بها قبل البدء فى البرهنة على ما يريد . فأعانه « سبق الإصرار » هذا كما يقال فى لغة القانون ، و « الفكرة الثابتة » هذه — كما يقال فى علم النفس ؛ على أن ينتزع كثيراً من البراهين يؤيد بها قضيته . وإلا فما كان له أن يثبت — وما كان لقارئه أن يفهم أن « كل شىء يكون كافياً فى أن يوجد بذاته فهو واجب الوجود » لو لم يتمثل فى قرارة نفسه صورة الله الذى يؤكد له الوجود والوحدانية والخير وأنه عقل وعاقل ومعقول ، وأنه عاشق ومعشوق ، وأنه لذيذ وملتذ ... ولماذا لا يلتذ من يشعر بكماله حين يتأمل نفسه .

ذلكم أن تأمل الله لذاته هـذا يحدث له لذة من ناحية ، ويحل مشكلة ابن سينا من ناحية أخرى . فمن هذا التأمل يصدر الفيض الإلهى ويكون الخلق . فينشأ أولا عقل أول هو واجب الوجود بالله ممكن بذاته . وهذا العقل الأول حتى الآن واحد وروحى ، ولكنه يتأمل الله من ناحية ، ويتأمل ذاته من ناحية أخرى . فمن تأمل العقل الأول لله ينشأ العقل الثانى ، ومن تأمله لذاته ينشأ الفلك الأول جسمه ونفسه . ثم إن هذا العقل الثانى من حيث أنه واجب الوجود بالأول يتعقل هذا الأول فينشأ العقل الثالث ، ويتعقل من ناحية أخرى ذاته — من حيث هو ممكن الوجود بذاته — فينشأ جسم الفلك الثانى ونفسه ، وهكذا يظل كل عقل يتأمل وجوبه بغيره فينشأ عنه عقل أدنى . ويتأمل إمكانه بذاته فينشأ عنه جسم ونفس الفلك المرتبط به حتى ينتهى الأمر إلى العقل العاشر المدبر لعالم الكون والفساد ، وهو العقل الفعال الذى تتصل به نفوس البشر .

فالعالم العلوى إذن يتركب من سلسلة متراكبة Hiérarchie كل حلقة فيها تحتوى على ثلاثة أشياء : عقل ، وفلك ، ونفس . وعلى رأسها جميعاً واجب الوجود لذاته الذى لا يبدع إلا العقل الأول ، وهذا يبدع لأول مرة ثلاثة أشياء . عقلا ثانياً ، وفلكا نفسياً ، وجسمياً . وهكذا تتكرر العملية حتى تخلص لنا عشرة عقول وتسعة أفلاك؛ آخرها فلك القمر وكرة الهواء المحيطة بالأرض

وأترك لكم تصور هذا العالم العلوى كما تشاءون ، ولكنى أود أن تلاحظوا منى على هذه النظرية الفروض الآتية :

أولا : افتراضها منذ البدء أن الله واجب الوجود لذاته ، وأنه عقل وعاقل ومعقول .

ثانياً : تسليمها بأنه واحد ، وأنه لا يصدر عن الواحد إلا الواحد — بالنسبة لله على الأقل .

ثالثا . قيامها على تعقل الله لذاته وتأمله لنفسه — وكذلك الأمر فى العقول الأخرى كل بدوره — كأساس للخلق ، ومبدأ للجود الإلهى . كما أريدكم أن تقفوا بعقولكم طويلا عند مناقشة مآخذها التالية .

أولا : أنها — وقد وضعت قانوناً عاماً ، هو أنه لا يصدر عن الأحد إلا الواحد - قد قصرت تطبيقه على واجب الوجود وحده ثم تجاوزته فى الحال مع العقل الأول لجعله يخلق ثلاثة أشياء بدلا من شىء واحد . مما يجعلها متناقضة مع ذاتها منذ اللحظة الأولى — إلا أن يكون ابن سينا قد قصد « بالواحد » هنا الله وذلك ما لا يدل عليه قوله هذا الذى سبق أن بينت لكم مرجعه فعودوا إليه ، فقد لا تجدون فيه هذا التناقض الذى أجد .

ثانياً : وما قاتـه فى الوجود تنشأ عنها الكثرة ، يقال مثله فى الروحية تنشأ عنه المادية . فقد أراد ابن سينا من توسيط العقل الأول بين الله والموجودات أن يبعد عنه صدور الكثرة من ناحية والمادة من ناحية أخرى ؛ لأن الله ليس بمادى ، ولذا كان العقل

الأول الصادر عنه غير مادي أيضاً ، ولكن كيف يتأتى لهذا العقل الأول أن يخلق بتأمله (الذي هو عقل روحي) مادة الجسم الأول نفسه ؟ هذا تناقض وغموض آخر .

ثالثاً : أن هذا المذهب يقف بالفيض عند الفلك العاشر ، فلك القمر وكرة الأرض ؛ أي العقل الفعال . ولا يبين لنا كيف تفيض أشياء هذا العالم عن العقل الفعال ، وهل هي تفيض عنه بعلم الله أو بغير علمه ، فذلك — فيما أظن — هو الذي حدا بابن سينا إلى أن يقصر علم الله على الكليات دون الجزئيات . (النجاة ص ٢٤٧) . واعتبر الغزالي ذلك كفراً صريحاً ؛ لأنه تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض . « كما أنك إذ تعلم الحركات السماوية كلها ، فأنت تعلم كل كسوف وكل اتصال وانفصال جزئي ، فكذلك الإله يعلم الجزئيات ولا يعزب عنه شيء شخصي » (الغزالي : المنقذ من الضلال ، طبعة دمشق الثالثة ص ٩٥) ، رداً على ابن سينا (النجاة ص ٢٤٨) .

والنتيجة الضرورية لهذا المذهب الأول بقدم العالم — وإن لم يستطع ابن سينا أن يقول به صراحة . فإن الله قديم ولا شك . وما دام العالم ينشأ عنه تعقله لذاته على هذا النحو ، وتعقله لذاته صفة لا تنفك عنه ، فلا بد أن يصدر عنه هذا الفيض منذ الأزل لا سيما أن العقل الأول واجب الوجود به ؛ بمعنى أنه يفترض وجوده منذ افتراض وجود خالقه تبعاً لتعريفه هو لواجب الوجود فوجوب وجوده ضروري لا من حيث أنه ممكن بذاته ؛ بل من حيث هو واجب بالله . وبمثل ذلك يكون العقل الثاني ضروريا بالأول . وهكذا تستمر السلسلة ويتم الخلق بهذا الفيض الأزلي القديم عن الله الأزلي الواجب الوجود .

ومهما يكن من أمر هذه النظرية فهي لا تعدو أن تكون مزيجاً من نظرية أرسطو في عقول الأفلاك ، ومن مذهب أفلوطين في فلسفة الإشراقية التي ظلت مورداً يفيض بالخصب والوفرة في كل فلسفات الأديان . وقد جارى ابن سينا هذه الأفلاطونية الحدثة ، فقال بما قالت به من خيرية الله ، ونزوع الكائنات إلى أن تنجذب بالشوق ، وأضاف إليها ما كان قد تأثر به من قول أرسطو — وما كان شائعاً لعصره — من حركة الأفلاك السماوية حركة دائرية حول عقولها لتصل إلى الواحد ، وازدياد شوقها أبداً للوصول إليه وإن كان ذلك الوصول بعيداً عنها ؛ إذ الكواكب في رأي ابن سينا حيوانات مطيعة لله تعالى (ص ٢٥٨) ، ولكل منها عقل يدبره كما أن له نفساً تحركه . وقد ساهم هو فيما كان شائعاً بين معاصريه من أن كل كوكب من كواكب الأفلاك يشبه إلهاً من آلهة اليونانيين ، فالشمس للحرارة ، والقمر للرطوبة والمريخ للغضب ... الخ وهذه الأفلاك التسعة أجسام سماوية تؤثر حركاتها في نفوسنا وأجسامنا — مما تأثر فيه الفارابي في « مدينته الفاضلة » ، ومما عابه عليه ابن رشد حين طعن الغزالي بأقواله هذه على الفلسفة .

أرأيت إذن موضع النفس في ترتيب الموجودات عند ابن سينا ؟ الأفلاك لها نفوس تحرك أجسامها في العالم العلوي ، والأجسام النباتية والحيوانية والإنسانية لها نفوس تحركها في العالم السفلي ، وبين العالمين يقف العقل الفعال وسيلة وواسطة اتصال . وفوق العالم العلوي كله الجوهر الفارق غير الجسم ، والصورة المجردة ؛ الذي هو الله ، والعقول العشرة المدبرة التي تتأمله وتتعقله ، وتحت العالم السفلي كله الهيولى أو المادة الأولى التي هي محل نيل الوجود في كل موجود ، وفي كل طبقة فيما بين ذلك جملة موجودات ذات مواد وصور متنوعة شتى .

وحسبكم إذن هاتان المقالتان في التقديم لدراسة النفس عند ابن سينا ، ولنشرع منذ المقال التالي في تحليل الفصل المطلوب إليكم دراسته .

كمال دسوقي

أنشــــودة منتحر (*)

للشاعر عبد الوهاب البياتي

«ليلى» أحس على فمي شفة   صفراء تصبغ بالدماء فمي
وجناحَ خفاش يطيرُ على   قبري فيملأ بالرؤى حُلُمي
وأرى يداً سوداء تصفعني   وتشد شعري شد منتقم
وأرى غطاء القبر متفتحاً   وجحافل الديدان والظلم

وأرى عيوناً كلما اختلجت   أهدابها رفتْ على غسق
الريح معولة كأن صدى   إعوالها ما زال في الأفق
وأنا وأحلامي وملهمتي   والحب حول الموقد الخنق
وذوائب النيران راقصة   في جوفه وسنانةَ الحدق

نتلو عليها وهي جالسة   أقصوصة أبطالها قتلوا
كانوا على قلع فداهمهم   جوٌّ مطيرٌ عاصفٌ هطلُ
فتحطم القلع الصغير ولم   ينج الذين إلى المدى رحلوا
فتجود عيناها بلؤلؤة   وعلى فمي تتهافت القُبَلُ

وبلحظة ما زلت أذكرها   وعويلها ما زال في أذني
همت عيون الليل وانتحرت   بيض النجوم على فم الدَّجن
فتبسمت ليلى وما ابتسمت   إلا لتحبس دمعة الحزَن
لكنها انحدرت ... لتقتلني   وتفيء للديدان في كفني

والنور يعكس ظلها قلقاً   فأكاد أرشف ذلك الظلا
عبرى ... تقول : أكنت في خدر ؟
أم كنت في حلم وقد ولى
بالي أراك صفرت في نظري   لما اغتصبت من الهوى قبُلا ؟
وشحبت حتى لم تمد حلماً   هلا أعدت رسائلي هلا !!

يا لحظة ما زلت ... أذكرها   كالخنجر المسموم في كبدي
عودي إليّ ! لعل ملهمتي   عادت إليك فتدفئْ لي يدي
عودي إلي ! فقد عفا كفني   وامتد صمت القبر في خَلدي

وامتصت الديدان — جائعة —   حتى خطايا حُبيَ النكِد
ما زلت أذكر موقفي وأنا   في ظلها متلطف .. غَزِل
ما زلت أذكر ليلة — هربت   روحي — وتبقى وهي تشتعل
ما زلتُ أذكر دمعَها همِلاً   وشفاهَها تطفو بها القُبَل
والريح ماطرةٌ ... وملهمتي   تُخفي رسائلنا وترتحل

والمدْوَدَةُ السوداء ... والقمر   ما زال يسخرُ مِنَي القمرُ
والبحر يفتح صدره حدباً   ويضمني في صدره النهر
والموجُ يقهقُ هاصراً رئتي   حتى تراقصَ وهي تنفجر
والريح تهمس وهي عابرة :   ظلٌّ على المرآة ينتحر

ما زلت أذكر لحظة هربتْ   مني وراء الريح والزمن
ما زلت اذكر — والربيع على   قبري يحوك الورد من كفني —
... كفاً مشوهة ... وساحرة   شمطاء تغسل باللظى بدني
ويداً تدحرجني إلى نفق   خاوٍ فتصفعني يد العفن

«ليلى !» أحس على فمي شفة   صفراء تصبغ بالدماء فمي
وجناحَ خفاش يطير على   قبري فيملأ بالرؤى حُلُمي
وأرى يداً سوداء تصفعني   وتشد شعري شد منتقم
وأرى غطاء القبر منتفتحاً   وجحافل الديدان والظلم

« بغداد »   عبد الوهاب البياتي

(*) من ديوان (ملائكة وشياطين)

الأدب والفن في أسبوع

حرية الأدب :

أمن الأوفق للأدب أن تكون له خطة مرسومة ، أم تترك الحرية للأدب في اختيار الخطة التي يجب أن يسلكها ؟ هذا هو السؤال الذي أثار به الأستاذ عبد الوهاب خلاف بك نقاشا حمى وطيسه في إحدى جلسات مؤتمر المجمع اللغوي ، تعقيبا على محاضرة الأستاذ محمد رضا الشبيبي في « النهضة الأدبية في العراق » التي قال فيها : إن مما منى به الأدب أخيراً في العراق فقدان خطة عامة مرسومة للنهوض بالأدب وباللغة العربية في البلاد

قال الدكتور طه حسين بك : أعتقد أن معالي الأستاذ المحاضر لم يرد التحدث عن خطة مرسومة للأدب بل عن خطة للنهوض بالثقافة في العراق ، وهذه الخطة — من غير شك — تساعد على نهضة الأدب وتحول بينه وبين التورط في كثير من الأزمات الثقافية .

وقال الدكتور أحمد أمين بك : أنا لا أوافق على أن يكون الأدب طليقا كل الطلاقة ، وأرى أن يوضع له منهج لا يصادر حرية الأديب ، ولجمعنا أن ينظر مثلا أغاية الأدب أن يلتذ به كالتلذذ بلون الزهرة وطيبها ، أم ترى غايته خدمة المجتمع والنهوض به ؟

فقال الدكتور طه : أنا لا أعرف للأدب غاية إلا التعبير عما في نفس الأديب ، والأديب الذي يحترم نفسه قد لا يكتب ليلذ القارىء بل ليغيظه ويحنقه ، كما أنه لا يكتب ليخدم غرضاً اجتماعياً بعينه .

وقال الأستاذ الشبيبي : إني آسف لأني طويت صفحة كاملة من صحف هذه المحاضرة تتعلق بموضوع حرية الادب ، وأن الأدب لا ينبغي أن ترسم له خطط ، وأنا أوافق على التفرقة بين الأدب والثقافة من حيث حرية الأول وتنظيم خطة للثانية .

ثم قال الدكتور أحمد أمين بك : إنما أريد للأدب توجيهات وللأدب غاية ، فقيام النقد الأدبي على أساس صحيح معناه أن هناك عناصر وقواعد عامة يشير عليها النقاد ، فالحرية المطلقة التي يدعون إليها هي هدم للنقد الأدبي ، وأنا أريد من المجمع أن يضع توجيهات عامة في الأدب يسترشد بها الناقد والأديب ، ويصح أن ندخل في حسابنا عند وضع هذه القواعد كون الأدب ذا فائدة اجتماعية أو أنه يطلب لذاته .

وشبه الأستاذ العقاد الأدب بالوردة ، فلا يجب أن يخدم المجتمع .

وكان ختام المناقشة في الموضوع قول الدكتور طه : إن القوة التي ترسم خطة للأدب لم تخلق بعد ، وأرجو ألا تخلق ، فالأديب حر ، والناقد حر ، وليس هناك ما يصح أن نسميه خطة للأدب ولو كان نقدا .

تعقيب :

تفرعت المناقشة في حرية الأدب إلى المسألة الثانية وهي خدمته المجتمع ، والأمر في مسألة الحرية واضح ، فلن يستطيع أحد أن يلزم الأديب بأن يسير على نهج معين أو يتجه إلى غاية مرسومة ، وحقاً إن غاية الأدب التعبير عما في نفس الأديب كما قال الدكتور طه ، ولكن ما هي نفس الأديب وماذا فيها إن لم يكن الشعور بما يضطرب في حياته التي هي جزء من حياة المجتمع ؟ أليست نفس الأديب نفس إنسان يحس بما يدور حوله ويتأثر به ، ويعيش مع الناس في بؤسهم ونعيمهم ويشعر نحوهم بتبعات وواجبات ؟ أوليس في نفس الأديب ذخيرة من هذا كله فيعبر عنها بأسلوبه الفني ويؤثر في النفوس بصوره الأدبية ويوجهها إلى مثل عليا ؟ وهو في ذلك يتمتع بتمام حريته لم يقسر على شيء ولم يرسم له أحد طريقاً ولم يخرج عن نطاق التعبير عما في نفسه .

لا شك أن الأصل هو ما في النفس ، والتعبير صورة له ، فإذا كان الأدب لا يخدم المجتمع فمعنى ذلك تجريد النفس من الشعور الاجتماعي أو كبت هذا الشعور ، والأول ينفي القيمة الإنسانية عن الأدب ، والثاني لا يتفق والحرية في التعبير .

على أن الأديب حينما يستجيب المجتمع إنما يستجيب لنفسه لأنه جزء منه ، فإن لم يستجب له كان أدبه أدب عزلة وجمود .

حديث مستشرق عن الشعر العربي :

انتهزت كلية الآداب فرصة وجود مستشرق إنجليزي في

رحلة بالشرق الأوسط ، وهو الدكتور ألفرد جيوم أستاذ الأدب العربي بجامعة لندن ، فدعته إلى إلقاء محاضرة بالجمعية الجغرافية الملكية ، فلبى الدعوة وألقى يوم السبت الماضي محاضرة موضوعها « الشعر العربي » بدأها بالإشارة إلى الصعوبات التي تعترض المستشرق عند قراءة الشعر العربي من حيث الوقوف على معانيه ، وقال إنه كثيراً ما يغمض عليه معنى بيت فيبحث ويسأل عنه على غير طائل ، فيتذكر قول شاعر انجليزي سئل عن معنى بعض شعره : عندما قلت هذا الشعر كان هناك اثنان يعرفان معناه الله وأنا ، أما الآن فالله وحده هو الذي يعرفه .

وقال إنه لا يقف عند القصائد التي تصور البيئة المحلية فاذا رأى قصيدة في وصف الناقة خطر له أن يسلك مع قائلها طريقة أبي العلاء المعري في رسالة الغفران ، وذلك باحياء الشاعر وإسماعه قصيـــدة في وصف السيارة تتضمن أسماء أجزائها ، وما يتعلق بها من المصطلحات انتقاما منه ...

أما الذي ينال إعجابه فهو ما في الشعر العربي من التعبير عن العواطف الإنسانية ، والمشاعر الروحية وتصوير جمال الطبيعة ، فهذا ييسر له كل إنسان يتمتع بالحاسة الفنية في كل أمة ، وقال إن القصائد التي تعبر عن ذلك في شعر العرب تعد من روائع الآداب العالمية ، وأتى بقطعة من شعر عمر بن الفارض ووقف عند بعض أجزائها وقفة المتذوق الفطن ، وعلق عليها قائلا : إننا في هذا الوقت الذي يضطرب فيه العالم في خضم المنافع والماديات نستروح بروح الشعر وشعر الروح مما قاله منذ قرون ذلك الشاعر الصوفي العربي الذي يعد من أعظم شعراء الدنيا .

وأتى بقطع لمختلف الشعراء في مختلف العصور ، ودل على مواطن الجمال فيها ، وقد ذهب في اختيـاره بعض القطع ، واستحسانها مذهب ابن قتيبة في قوله : ليس كل الشعر يختار لجودة اللفظ والمعنى بل لأسباب أخرى منها إصابة التشبيه .

وختم الدكتور جيوم محاضرته بأنه يعتبر نفسه سعيداً لأنه يدرس الأدب العربي لطائفة من شباب الإنجليز بجامعة لندن فيقرب إليهم موارد الشعر الذي يعبر عن روح الأمة العربية التي لا تقيم على ضيم .

وقد كان المحاضر — على التواء لهجته — دقيقاً في التعبير والإعراب، ومما استرعى التفاتي إليه انسجام إلقائه ونبراته مع ما يتحدث عنه ، فكان باقي ما أعده في الورق وكأنه يرتجل بلغته الأصيلة .

كشكول الأسبوع

* أعلنت دار الهلال أنها ستعيد نشر روايات تاريخ العرب والإسلام لجورجي زيدان ضمن سلسلة « روايات الهلال » التي اعتزمت إصدارها .

* تلقت مشيخة الأزهر من لجنة نوبل أن اللجنة ترحب بأنْ يتقدم لها علماء الأزهر برسالاتهم وبحوثهم لنيل جائزة نوبل .

* نشأ خلاف بين الدكتور محمد عوض محمد بك مدير معهد الدراسات السودانية وبين الدكتور زكي محمد حسن عميد كلية الآداب على بعض الشؤون المتعلقة بالمعهد وقد دعا ذلك إلى التفكير في استقلال معاهد الدراسات العليا عن كلية الآداب .

* طلب استديو مصر من وزارة الشؤون الاجتماعية الموافقة على تعريب نطق فلم « هملت » الذي عرض أخيراً بمصر . وقد وافقت الوزارة على ذلك .

* تقرر إنشاء محطة إذاعة مؤقتة في مكة لإذاعة مناسك الحج في الموسم القادم .

* قال الأستاذ شفيق غربال بك في حديث بجريدة الزمان : إن الإذاعة لم تستغل حتى الآن بالقدر الكافي لخدمة الثقافة العامة .

* في الإذاعة ركن للفلاح لا يعرف الفلاح عنه شيئا لأنه لا يستمع إلى الإذاعة ، وهي نعمة ...

* تساءل الأستاذ فتحي رضوان المحامي في مقال بالهلال : ما هي الأفكار الجديدة التي بشر بها شيوخ هذه الأيام فلقيت رواجا ؟ ومن منهم ثبت على شيء من الأفكار المتطرفة التي بدأوا بها حياتهم ؟

محاضرات مزعومة :

لا يزال بنفسي أثر من الروايات (البوليسية) ، التي كنا نقرؤها في الصغر ، فعلى رغم الزمن الذي مضى منذ « شب عمرو عن الطوق » فإن تلك القراءة لم تنمح آثارها وإن خدعنا الظاهر لأنها غائرة في الأعماق أو في العقل الباطن كما يعبر علماء النفس .

ذلك أني ارتبت في اسم من الأسماء ، التي تنشر دائماً في « محاضرات اليوم » بالأهرام ، فحلت بي روح المغفور له (أرسين لوبين) وجلست في الشرفة أنظر إلى الأفق البعيد وأنفث دخان السيجار لترسم خطوطه المتموجة في الفضاء سطور الشك ...

كيف أوتي صاحبنا القدرة على أن يلقي محاضرة كل يوم والمفروض أن المحاضرة فكرة تحتاج إلى وقت لتنضج في الذهن ، وتختمر قبل أن ترتجل إن لم تحبر ... ؟ ألا يمكن أن يكون في الأمر دخل لروح العصر عصر السرعة ، فيكتفي بعنوان المحاضرة ليجيز نشر الاسم الكريم ولا حاجة إلى العناء بالتفكير والإلقاء ؟

ثم نفذت الخطة ، وهي بطبيعة الحال تختلف عن خطط سلفي (أرسين لوبين) فلست أحتاج إلى جرأته الخارقة وقدرته الفائقة على سرعة الانفلات من المسدس المصوب إليه ... والتغلب على جميع أفراد العصابة بقبضة يده ... كل ما في الأمر أن أذهب إلى المكان المبين لإلقاء المحاضرة ، فألفيه مزعوماً ، كدولة إسرائيل ، حذو النعل بالنعل !

ودلت تحرياتي أيضاً — وأنا لا أزال متقمصا روح أرسين لوبين — على أن بعضهم لديه بطاقات طبعها ، متضمنة أنه سيلقي محاضرة ، وقد ترك في الطبع بياضاً لعنوان المحاضرة ، فما عليه إلا أن يسود هذا البياض ، ويرسل البطاقة إلى الصحف ، لتنشر النبأ .

لا شك أن « محاضرات اليوم » في الأهرام باب نافع من حيث ما قصد منه وهو أن يكون دليلا لطلاب ثمرات العقول والقرائح إلى مجناها في القاعات والأندية ، ولكن هذا القصد شيء والواقع شيء آخر ، فالزميلة الغراء تخدع بما يرسل إليها فتنشره دون نظر فيما يشتمل عليه من الأعاجيب ، ولست أدري — ما دامت مقتنعة بأن فلانا وفلانا وفلانا يلقون محاضرات كل يوم — لم لا تصنع لأسمائهم (أكلشيهات) بدل أن يتعب عمال المطبعة في صف حروفها كل يوم .

ومن تلك المحاضرات التي يعلن عنها — ماعدا التي لا تلقى — نوع يلقيه في المساجد أئمتها ، وفي الكنائس أحبارها ، وهي دروس في الوعظ تؤدى بحكم الوظيفة ، وهي في ذلك كخطب الجمع أو كالدروس المدرسية ، فتصور كيف تكبر المهزلة إن نشر كل مدرس في مدرسة ، وكل خطيب في جامع ، أنباء الدروس والخطب .. !

وللباحث الاجتماعي أو النفسي أن ينظر كيف يتهافت بعض الناس على الشهرة ولو لم يملكوا أسبابها ...

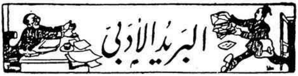
فتاة الشعر :

نشرت « المصري » ، قطعتين من الشعر للأستاذ عبد الرحمن الخميسي ، تحت صورة فتاة حسناء ، لست أدري مكانها من الشعر ، أهي صورة التي يقصدها بالغزل ، أم هي صورة « عمومية » يبغي بها جذب الأنظار ، على طريقة بعض المحال التجارية و (صالونات) الحلاقة ... ؟ على أن الأستاذ وشعره ليسا في حاجة إلى ذلك ، فهو أديب معروف ، وما أرى الصورة إلا جانية على القطعتين المنشورتين ، وهما من الشعر النابض ، فالقارئ إما عادي لا يقرأ الشعر ، وما لهذا حساب ؛ وإما مستنير مثقف فيرى في نشر الشعر مقترنا بالصورة لونا من الإسفاف ونوعا من التعويض ، فيعرض عنه .

وليست هذه أول مرة ينشر فيها الأستاذ الخميسي شعراً مع صورة ، وبعض شعراء الشباب يلجؤون إلى هذا الصنيع دون أن تعبر الصورة عن معنى معين يقصده الشاعر ، ومن هؤلاء الأستاذ عزت حماد منصور بجريدة « البلاغ » فهل هي فكرة جديدة كفكرة « فتاة الغلاف » و « فتاة الحائط » فهي إذن « فتاة الشعر » ؟

من هو الشقي الحزين ؟

الآنسة أماني فريد إحدى الفتيات اللائي ينشر لهن شعر في الغزل ... وهو تطور جديد في أدبنا بصرف النظر عن قيمة هذا الشعر ومكانه من الأدب ، وهو شيء طبيعي في هذا العصر الذي نعيش فيه ، عصر التحرر ...



مستقبل الشعر :

تساءل الأستاذ « توفيق الحكيم » في عدد أخير من « أخبار اليوم » عن مستقبل الشعر والشعراء . وهل آن لدولة الشاعرة أن تودع العالم بين صخب التطور وجلبة الاندفاع إلى المستقبل الذي تهرول نحوه الشعوب في سرعة لا تعرف البطء ، وعزم لا يدركه الكلال .

والذي رفع الأستاذ « الحكيم » إلى هذا التساؤل هو ما رآه من أفول يصيب نجم تلك الدولة الهرمة ، ثم حاول أن يعلل له بما كان من أمر هذه الديمقراطية التي جعلت الآداب موجهة إلى الطبقات الوسطى والدنيا قبل أن تكون موجهة إلى الخاصة ، وهذه الطبقات في رأى الأستاذ غير مهيئة لتلقى هذه الرسالة الرفيعة ، وأخيراً هذه السرعة المجنونة التي تلوذ بالسطح وتنفر من الغوص إلى القرار . والشعر فن يعتمد على التركيز والإيجاز فهو في حاجة إلى شيء من الذكاء وشيء من الاستقرار يهيئان لفهمه والاستمتاع به .

والأستاذ « الحكيم » بعد هذا العرض وذلك التدليل متشائم ، ينظر إلى مستقبل هذا الفن الجميل نظرة الآسف المتحسر . فهل لهذه النظرة من أساس؟ وهل منطق الحوادث وأدلة الماضي والمستقبل تقف إلى جانبه ؟

يخيل إليّ أن الحق يجانب هذه النظرة التشاؤمية . فما هي الدعائم التي ينهض عليها الشعر ؟ وما هي الروح التي تنفخ في جذوته المقدسة فتشعلها وتذكي لهيبها ؟ وهل آن لهذه الدعائم أن تتقوض ، أو لتلك الروح أن تلفظ الأنفاس في المستقبل القريب أو البعيد ؟

إذا استطعنا أن نجيب على هذا السؤال كان لنا في الإجابة غناء عن تشاؤم الأستاذ أو تفاؤل غيره .

دعائم الشعر في نظرى تنقسم قسمين :

قسما يخص الشاعر الذي ينشيء الشعر . وقسما يتصل بالقارىء . أما فيما يخص الشاعر فإن الدوافع التي تدفعه إلى قول الشعر لن ينضب معينها إلا إذا نضب معين الحياة ، واستجابة الأحياء لما تلقاهم به من ألوان الحوادث والتجارب التي تمتنع على العد ، وتستعلي على الإحصاء ؛ فدوافع الشعر ستظل خالدة خلود الطبيعة والإنسان . وعلى هذا فالشاعر ضرورة إنسانية باقية ، وحاجة روحية خالدة . وإن أقفرت بعض الفترات من وجود العبقريين من الشعراء ، فليس معنى ذلك أن الزمن سيظل بأمثالهم عقيماً .

وفي التاريخ الإنساني لجميع الأمم شواهد ناصعة على ذلك ، وهي شواهد لا تقبل الجدل ولا اللجاج .

ففي الأدب العربي والإنجليزي والفرنسي وسائر الآداب ما يقيم الدليل على أن الشعر لم يمت وإن مرت به عصور أوشكت فيها روحه أن تفيض ، وأنفاسه أن تختنق .

وهنا تتراءى لنا مشكلة لا بد من إثارتها في هذا المجال . فقد كان الأسلوب الشعري هو الغالب في العصور القديمة ، وكان النثر تقعد به مكانته دون التعبير عن العواطف الجائشة ، والإحساس المتدفق الفوار . أما في العصر الحديث فقد نهض النثر نهضة عظيمة ، وراح يزاحم الشعر مزاحمة ظاهرة في هذا المجال . فأدب المقالة اليوم هو في الذروة من حيث استيفاء

وقد أنكر محرر جريدة « الزمان » على فتاة متخرجة في كلية الآداب قصيدة غزلية نشرتها لها إحدى الصحف ، ذاهباً إلى أن هذا ليس من موروث عاداتنا ولا من طبيعة مجتمعنا ولا من طبيعة المرأة من حيث ميلها إلى أن تكون هي المطلوبة . وختم كلمته بفتح الموضوع للاستفتاء العام .

وأي شيء بقي من عاداتنا وتقاليدنا ؟ وهل وقفت المرأة عند طبيعتها تلك ؟

أعود إلى الآنسة أماني ، فقد نشرت « البلاغ » أبياتا بتوقيعها عنوانها « لوعة » جاء فيها هذا البيت :

أراني شقيا حزينا فيا نفس أين الرجاء

وسياق الأبيات أنها هي المتكلمة ، فكيف تكون « شقيا حزينا » ؟ هلا راجعت الأبيات وتأملتها قبل أن تدفع بها إلى النشر لتعرف ما ذا صنع الشقي الحزين ... ؟

عباس خضر

أغراضه ؛ وهى أغراض تشترك فى كثير من الأحيان مع الشعر

وما يقال عن المقالة يقال عن القصة فى هذا الباب . فالأدب التمثيلى الشعرى عند « شكسبير » قد حلت محله مسرحيات (برنادرشو) النثرية ، ومسرحيات « شوقى » حلت محلها مسرحيات « توفيق الحكيم » .

وهناك شىء آخر له خطورته على تضييق دائرة التعبير الشعرى وهو ما شاع فى العصر الحديث من وسائل الثقافة الفنية المختلفة التى زاحمت الكتاب سواء ما كان منه شعراً أم نثراً ، وأخطر هذه الوسائل هى السينما والصحافة والمذياع .

وهكذا نلاحظ أن مجال الشعر قد أخذ يضيق ويضيق حتى أصبحت دائرته لا تكاد تجاوز التعبير عن الحالات التى لا يغنى فيها عن التعبير الموزون تعبير سواه .

أما دعامة الشعر الثانية وهى التى تتصل بالقارىء فيبدو أنها الظاهرة التى أخافت الأستاذ « الحكيم » وجعلته يتساءل هذا التساؤل الوجل فى « أخبار اليوم » ، فنسى أن يذهب بالتعليل إلى أصوله القريبة والبعيدة

فالقراء اليوم مدبرون عن الشعر منصرفون إلى أدب السطوح لا الأعماق — إن صح هذا التعبير — .

وهذا حق .. ولكن هذا لا يعود باللائمة على القراء « الأغبياء ! » ، لأن المسألة راجعة فى أصولها إلى الظروف الاجتماعية والسياسية التى يحياها العالم اليوم ، فنحن نجوز فترة المخاض التى يضطرب لها كيان البشرية ، وتميد معها دعائمها وأركانها . فالمشاكل الاقتصادية اليوم تحتل المكان الأول فى نفس الإنسانية المعاصرة ، وحتى يجىء اليوم الذى تحل فيه هذه المشاكل على نحو يرضى سنة التقدم ، ويشبع رغبة التطور ، فستظل مشاكل الفن وحاجات الروح مسائل ثانوية فى (جدول الأعمال) .

إن الإنسان فى هذه الحقبة من الزمن محتاج ليكسب عيشه إلى ساعات لا تقل عن الثمان ، هذا فى الطبقة الوسطى ، أما فى الطبقات الدنيا فهو فى حاجة إلى أكثر من هذا القدر بكثير أو قليل . فكيف نطالب إلى أمثال هؤلاء أن يخلوا إلى ديوان ليتذوقوا فيه قصيدة عصماء ؟ وهم ما زالوا يكافحون من أجل رغيف (أغر) ؟ ! إننا نطالبهم بالمستحيل . فهل من أمل فى تغيير هذه الحال؟ يخيل إلى أن الجواب هنا يجب أن يكون بالإيجاب ، فنحن مقبلون — على رغم العوائق — على العصر الاشتراكى ما فى ذلك شك . والاشتراكية هى الأمل المرموق الذى تتطلع إليه شعوب العالم ، وتنزى شوقاً إلى تحقيقه .

ويوم يعم العالم النظام الاشتراكى ، فإن هذا الصراع من أجل العيش سينتهى إلى قرار ، وعندئذ تنطلق القوى الروحية المطمئنة لتعمل فى كل أفق من الآفاق ، وإنها لرحيبة بعيدة الأغوار .

فنحن نستطيع بعد هذا كله أن نطمئن الأستاذ « الحكيم » على مستقبل الشعر ، لأن الرجاء فى مستقبل روحى باهر هو رائد الانسانية المكافحة فى هذا الجيل الذى نعاصره ، وإن كنا إلى جانب ذلك نعتقد أن الشعر سيضيق مجاله عند الحد الذى لا يغنى فيه إلا القول الموزون . ولا خسارة هناك من هذا الأمر ، فإن النقصان فى هذا الفن سيزيده فى ذاك ، وسيظل الشعر مشعلا من مشاعل الفن المضيئة المتلألئة التى يبهر بريقها الأنظار ، وإن علاه فى هذه الحقبة شىء من الغبار .

ماهر قنديل

طلخا الابتدائية

صورة طبق الأصل !

كثيراً ما أقرأ مقالا بعينه أو قصيدة بعينها فى أكثر من مجلة واحدة فى زمان واحد ومكان واحد ، كما وقع فى كلمة الأستاذ أنور المعداوى حول كتاب « زوجات » للأستاذ الصاوى ؛ فقد تفضل الأستاذ الناقد فكتب كلمة حول هذا الكتاب فى مجلة (العالم العربى) عدد ديسمبر الجارى ، ثم أردفها بصورة أخرى (طبق الأصل !) نشرها فى (الرسالة) الغراء عدد (٨٠٧) ، وهذا عين ما وقع فى قصيدة الشاعر توفيق عوضى (حب النطق) فقد تفضل بنشرها فى (الرسالة) عدد (٨٠٦) ، ثم فى (الثقافة) عدد (٥٢١) . وبعد ، فلست أدرى الحكمة من هذا التقليد الجديد ، كأنى أجهل أسبابه ومبرراته ودواعيه ونكتة البلاغة فيه

قد يجوز أن أنشر قصيدة فى مصر ، ثم أنشرها بعينها فى الحجاز ، أو فى أى رقعة من رقاع (الجامعة العربية) ، وذلك لبعد الشقة ، ونزوح المحلة ، ولتوثيق الصلات الأدبية بين أبناء الضاد ... أما أن ينشر مقال ، وتنشر قصيدة ، فى المكان الواحد والزمان الواحد ، فى أكثر من مجلة واحدة ، فذلك ما لا يجوز ، أو قد يجوز ، ولكنى على كل حال لا أعرف عبرة جوازه ... فأكون لمن يتفضل بالعبرة من الشاكرين !

(الزيتون) عدنان



الأقــــدار

للكاتب الأمريكي ن. هاوثورن

أن معرفتنا الحوادث التى تؤثر على حياتنا ومصيرنا فى الواقع معرفة طفيفة ضئيلة فهناك من هذه – الحوادث — إذا شئت أن تسميه حوادث — ما يدنو منا، ثم ينزح عنا، دون أن يكون له أى أثر على أنفسنا، أو يفشى قربه، أو يلقى ضوءاً أو ظلا عن وجوده. وهذا ما حدث لدافيد سوان.

نحن لا يهمنا من حياة دافيد سوان سوى تلك التى تربطه بها منذ بلوغه العشرين من العمر عندما كان قادماً من مسقط رأسه فى طريقه إلى مدينة بوسطون ليعمل فى حانوت عمه. ويكفى أن نعرف أنه ولد فى نيوهامشاير من أبوين محترمين، وأن ثقافته عادية تزيدها دراسة عام فى أكاديمية جايمانتون. وكان يشعر بالجهد وعناء السير ووطأة القيظ بعد أن قطع شوطاً كبيراً من الطريق منذ شروق الشمس حتى ظهر يوم من أيام الصيف الحارة. فعزم على أن يستريح فى أقرب مكان تكتنفه الظلال وينتظر قدوم مركبة السفر وكأنما تهيأ له هذا المكان، فسرعان ما بدت أشجار باسقة حول خلاء يتوسطه نبع من الماء العذب الدافق فطبع قبلة على صفحته من شفتيه الظمآنتين ثم استلقى على الأرض وقد توسد لفافة تحوى ملابسه الداخلية. كانت الشمس تجاهد فى فتح ثغرة بين الأفنان حتى تصل إليه، وانجاب ستر ذلك الغبار المتصاعد من الطريق بعد أن هطل المطر فى الليلة الماضية. وارتاح الشاب لتلك الحشائش التى يرقد عليها وكأنه نائم على فراش وثير. وتمتم النبع يهمس بجواره، وتأرجحت الأفنان تحت السماء الزرقاء. ثم استولى عليه نوم عميق تتخلله أحلام عابرة لا يهمنا أمرها، فكل اهتمامنا موجه إلى ما يحدث بعيداً عن أحـــلامه.

كان الناس غادين رائحين على طول الطريق راكبين أو مترجلين فيمرون عليـه وهو راقد تحت سلطان الكرى فى خلوته وقد

حننت إلى ريا:

قرأت فى الرسالة الغراء فى العدد ٨٠٦ ص ١٣٩٧ فى مقال الأستاذ أحمد أحمد بدوى قصيدة الصمة بن عبد الله التى مطلعها:

حننت إلى ريا ونفسك ساعدت مزارك من ريا وشعبا كما معاً

منسوبة إلى القشيرى، والمعروف أنها للصمة بن عبد الله بن طفيل بن الحرث بن قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب، كما ذكر أبو تمام فى ديوان الحماسة (ص ٥٤ الجزء الثانى الطبعة الثانية)، وهو شاعر غزل مقل من شعراء الدولة الأموية قالها فى بنت عم له هويها يقال لها «ريا»، فخطبها إلى عمه، فزوجه إياها على خمسين من الإبل، فسأل أباه ذلك، فساق عنه تسعاً وأربعين، فأبى عمه إلا الخمسين كاملة، فلج أبوه ولج عمه فتركهما مغاضباً ورحل إلى الشام فتبعتها نفسه، وجاش صدره بهذه القصيدة.

عبد الجليل السيد حسن

تصحيح كلمة:

لاحظت أن الأديب المتمكن الأستاذ عدنان أسعد فى تتبعه عثرات الأقلام وتطبيعات الصحف ألف أن يجعل من كلمة — مانع — صفة للشيء المستحسن الجميل حتى لقد ذكرها فى تعقيباته أكثر من مرة. فى الجزء الخامس من المجلد الأول من مجلة «الكتاب» الزاهرة وفى العدد ٧٨٢ من «الرسالة» النيرة ويبدو لى أن التوفيق أخطأه إذ وجدت أبا الفرج الأصفهانى فى أغانيه ج ٢ ص ٥٠ ط دار الكتب المصرية يروى شعراً على لسان المجنون يقول فيه:

أشرن بأن حثوا الجمال فقد بدا من الصيف يوم لافح الحر مانع

وقد ذكر الشراح أن المانع هو الطويل خلافاً لما ذكره الأستاذ، وله منى تحية إعجاب.

(الساعية) محمد الشاذلى حسن

ألقت عليه الأشجار ظلالها. وكان منهم من لا يلتفت يمنه أو يسرة فلا يدرى وجود دافيد ، ومنهم من يرمقه وهو يبتعد عنه سارحاً فى أفكاره، ومنهم من يضحك عندما يشاهده راقداً يغط فى نومه ، ومنهم أولئك الذين امتلأت قلوبهم بالبغضاء ، فيبعثون إليه فيضاً من كلمات الضغينة والحقد .

وأطلت أرملة متوسطة العمر عليه ، ثم حدثت نفسها قائلة : أنه بيدوفاتناً فى نومه. ورآه مدرس وقور فمزج على أن يزج بالشاب المسكين فى موضوع محاضرته التى سيلقيها ذلك المساء ، فيشبه حاله بحال سكير أفرط فى الشرب حتى نام بجوار الطريق . كانت كل هذه الخواطر بما فيها ذم ومدح ، وسرور وغضب ، وإعجاب واحتقار ، لا تهم دافيد فى شىء . فقد كان بمنأى عنهـا وهو غارق فى نومه .

وأقبلت مركبة يجرها زوج من الجياد القوية سرعان ما وقف أمام ملجأ دافيد . كانت إحدى عجلاتها قد انزلقت بعيداً عنها ، مما روع التاجر المسافر وزوجه قليلا ، فترجلا عن المركبة ، إلى أن يتم استبدال عجلة بأخرى، وقصد إلى ملجأ دافيد تحت الأشجار التى تظلله . وتمتم النبع المتفجر يشكو تطفل الدخيلين ، وتأثر الهدوء الشامل الذى كان يرين على المكان ، فمادا أدراجهما فى خفة وسكون ، خشية أن يوقظا النائم. وهمس السيد الكهل قائلا ما أعمق نومه ! انظرى كيف يتنفس فى هـدوء . وددت لو أنام مثل هـذا النوم فى مقابل تنازلى عن نصف ثروتى . أنه الصحة والسعادة وصفاء الضمير .

فقالت السيدة — ذلك بجانب الفتوة والشباب . إن الرجل الكهل وإن كان صحيح البدن لا ينام مثله .

وكان التاجر وزوجـه كلما أطالا النظر إلى دافيد ، ازداد اهتمامهما به ، وهو نائم فى ذلك المكان بجوار الطريق تحنو عليه تلك الأشجار ، وكأنه يرقد فى مسكن خاص لا ينازعه فيه منازع ، وقد انسدلت فوقه ستائر فاخرة من الظلال ، وأقبلت الشمس وقد وجدت أشعتها فرجة تنفذ منها خلال الأفنان ، أقبلت تقبل وجهه . وشعرت السيدة بحنان الأمومة يطغى على قلبها ، فأحنت فننا تظلل به وجه الشاب ، ثم همست تقول لزوجها .

— يبدو أن العناية الالهية قد وضعته فى طريقنا ، وقادتنا إليه . إنى أرى شبها بينه وبين ولدنا الراحل . ألا نوقظه ؟

فتردد التـاجر هنيهة ثم قال — لماذا ؟ إننا لا ندرى شيئا عن أخـــلاقه .

فأجابت السيدة — ألا ترى هذه الملامح الطيبة ؟! ألا تلاحظ هذا النوم البرىء ؟!

كانت همساتها تردد فى المكان ، ومع ذلك لم تسرع دقات قلب دافيد ، ولم تبهر أنفاسه ، ولم تشف ملامحه عن أى اهتمام لما يدور حوله ، ولم يشعر « بالحظ » فوقه وعلى أهبة الاستعداد لأن يغمره بالذهب . لقد فقد ذلك التاجر وحيده ، ولم يعد له وريث سوى قريب بعيد لا يميل إليه ، ولا تعجبه أخلاقه . ولهذا كان دافيد على قاب قوسين أو أدنى من الثروة والغنى .

ورددت السيدة تحاول إقناع زوجها — ألا نوقظه ؟

وهنا سمع صوت السائق وراءهما يقول — أن المركبة على أهبة الرحيل .

فجفل الزوجان ، واحمر وجههما ، ثم أسرعا يبتعدان عن النائم وهما يعجبان ويتساءلان كيف خطر لهما أن يحاولا إيقاظ هذا الشاب . وتهالك التاجر على مقعد المركبة ثم سرحت به أفكاره بعيداً عن دافيد ، ودفعته إلى الاهتمام بمشروع ملجأ للعاطلين .

ولم تكد المركبة تبتعد حتى أقبلت فتاة حسـناء فى خطى رشيقة ، تشف عن قلب صغير يرقص فى صدرها . ولعل ابتهاجها ومرحها وحركاتها هى التى دعت (وهل هناك ضرر من قولى؟!) إلى تهـدل جوربها الحرير (أن كان حريريا !) فانتحت جانبا بجوار المكان الذى يرقد فيه الشـاب ، وانحنت تحاول تثبيت جوربها . وسرعان ما علا وجهها حمرة خجل كاحمرار الوردة عندما أبصرت ذلك النائم المستلقى بجـوار النبع ، وهمت بالهرب فى هدوء عنـدما لاحظت خطراً يهدد الشاب . كانت نحوم فوق رأسه نحلة ضخمة ، وتدور حول المكان فى طنين عال ، فتارة تطير بين الأفنان ، وتارة تندفع مخترقة أشعة الشمس ، ثم تختفى فى الظلال ، وأخيراً حطت على جفن الشاب . وكانت الفتاة تعرف ما تسببه لدغة النحلة من ضرر فهاجمتها بمنديلها ونحتها عنه . ثم وقفت تلهث ، وقد بدت حمرة الخجل على وجنتيهـا ، وجعلت تختلس النظر إلى ذلك الشاب الغريب ، وتمتمت تحدث نفسها ولم تزل حمرة الخجل تملو وجنتيها « كم هو جميل الطلعة ! » .

كيف لم يساوره أثناء نومه حلم سعيد ، حلم يستطيع فيه أن يلاحظ هـذه الفتاة بين أبطال حلمه ؟ ولماذا لم تشرق ابتسامة ترحيب على وجهه ؟ لقد قدمت إليـه تلك العذراء التى وافقت روحها روحه ، والتى كان يتوق إلى رؤيتها ، ويصبو إلى لقائها . إنها هى الوحيدة التى يتمنى أن يحبها الحب الفريد الكامل ، وهو

الوحيد الذى يستطيع أن يتربع فى أعماق قلبها . وها هى ذى الآن قد انعكست صورتها على صفحة ماء النبع بجواره ، تلك التى ستختفى عن أنظاره إلى الأبد إذا لم يستيقظ ويرها .

وتمتمت الفتاة قائلة ما أعمق نومه !

ثم عادت أدراجها وقد ثقلت خطواتها . كان والدها تاجراً ريفياً ناجحاً ، وكان يبحث فى ذلك الوقت عن شاب يساعده فى أعماله ويشاركه فى تجارته . وهكذا اقترب « الحب » من دافيد كما اقترب منه « بلاحظ » دون أن يدرى عنه شيئاً .

وابتعدت الفتاة عن المكان عندما أقبل رجلان واقتحما الخلوة . بوجهين قاتمين وملابس رثة قذرة . كانا من أولئك المتشردين الذين يتعيشون على ما يرسله لهم الشيطان . وهاهما قد أقبلا لاقتسام ما ربحاه من المقامرة . وإذ بهما يشاهدان الشاب وهو نائم فهمس أحدهما إلى الآخر قائلا — ألا ترى تلك اللفافة التى تحت رأسه ؟ .

فأومأ الآخر بإيجاب ، وغمز بعينه ، ثم نظر شزراً . فقال الأول — أراهن على قدح من الخمر إن لم يكن هذا الشخص يملك محفظة عامرة بالأوراق المالية أو يخفى نقوده الفضية فى مخبأ داخل هذه اللفافة ، ذلك إذا لم نجدها فى جيوب سراويله .

فقال الآخر — وإذا ما استيقظ ؟

فأشار زميله إلى مقبض خنجره المثبت داخل سترته ، فتمتم الشقى الثانى قائلا — هذا يكفى ! .

واقترب من النائم ، وسدد أحدهما الخنجر صوب قلبه ، فجعل الآخر يبحث فى ثنايا اللفافة التى كان يتوسدها . وكانت ملامحهما تنطق بالشر والجريمة والخوف وهما منحنيان فوق ضحيتهما . حتى ليكاد أن يخيل إلى الشاب — إذا ما استيقظ ورآهما — أنهما من الشياطين . ولو كانا قد ألقيا نظرة إلى صورتيهما المنعكستين على صفحة ماء النبع ، لما عرفا نفسيهما وهما فى هاتين الصورتين البشعتين . ولكن الشاب كان نائماً فى هدوء لم يعهده من قبل .

وهمس أحدهما قائلا — يجب أن أحرك هذه اللفافة .

وتمتم الآخر — إذا ما تحرك سأقضى عليه .

وأقبل فجأة كلب يشم الأرض تحت الأشجار ثم ألقى نظرة فاحصة على الشقيين ، وأخيراً عاد أدراجه .

فقال أحدهما — لن نستطيع عمل شئ بعد ذلك . إن صاحب الكلب بالقرب منه .

فقال الآخر إذاً دعنا نشرب ثم نرحل .

وأعاد الرجل خنجره إلى طيات ثيابه ، ثم أخرج قارورة من الشراب ، وجعل ينهل منها هو وزميله وأخيراً نزحا عن المكان وهما يضحكان . وبعد ساعات كانا قد نسيا ذلك الشاب غير مدركين أن الملك الذى يدون ما يجرى من حوادث قد سطر فى صفحتيهما إثماً ضد روحيهما ، إثماً دائماً بدوام الخلود . أما دافيد فكان لا يزال غارقاً فى سبات هادىء فلم يشعر بشبح الموت وهو يجثم فوقه ، ولا بضياء الحياة الجديدة التى منحت له عندما انسحب ذلك الشبح . ونام ملء جفونه نوماً أبعد عنه الجهد والتعب . وأخيراً أخذ يتململ وتحركت شفتاه ثم تمتم وكأنه يتحدث مع أطياف أحلامه النهارية . وسرعان ما استيقظ عندما سمع صليل عجلات مركبة السفر وهى تنهب الطريق مقبلة نحوه . فنظر إليها ثم صاح — أيها السائق . أتأخذ معك مسافرا ؟ .

فأجاب السائق — أصعد — فهناك مكان فى أعلى المركبة .

وصعد الشاب مغتبطاً وسارت المركبة صوب بوسطون .

ولم يلق دافيد نظرة على ذلك النبع بما جلبه له من أحلام متقلبة . ولم يعرف أن شبح « الثروة » قد ألقى ظله الذهبى على مياهه ، ولم يدرك أن ملاك « الحب » قد تنهد فى هدوء واختلط صوته بصوت أمواجه ، ولم يشعر أن شبح الموت كان على وشك أن يصبغ تلك المياه بدمه . حدث كل هذا فى ذلك الظرف الوجيز من الزمان الذى كان فيه نائماً ؟ فنحن فى نومنا لا نشعر ولا نسمع وقع خطوات الحوادث وهى تمر علينا مراً . أليس فى استطاعة قوة الهية مهيمنة أن تجعلنا قادرين على التنبؤ — ولو بقدر بسيط — بتلك الحوادث الخفية الفجائية التى تلقى بنفسها فى طريقنا ؟

محمد فهمى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة